2260
.7442

2260.7442
Rabitat al-Tadamun al-Adabi
Yawm al-ta'awun

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 073828889

Rābiṭat al-Taḍāmun al-Adabī

رابطة التضامن الأدبي

Yawm al-ṭā'a

يوم الطاعة

2260
.Y4H42

الطبعـــة الأولى

صاحب المعالى الوزير الفلاح التعاونى المغفور له

« فتح الله برکات باشا »

وزير الزراعة الاسبق ، ومجدد التعاون الزراعى فى مصر

٢-٢٤-٦٩ ١٩٨٩

الاهداء

الى روح المغفور له :

حضرة صاحب المعالى الوزير الفلاح التعاونى

مجدد التعاون الزراعى فى مصر :

فتح الله بركات باشا

اعترافا بما أسداه إلى أمته من جلائل الأعمال ، وإحياء لذكراه الطيبة .

سيد مصطفى
المراقب العام

مقدمة

للأستاذ سيد مصطفى

« الناس بخير ماتعاونوا »

يقول ابن خلدون : « الانسان مدنى بالطبع » ويعنى بذلك أن الانسان لا يستطيع أن يعيش وحده ، بل لابد أن يعيش الناس جماعات يعمل بعضها مع بعض فى إدارة دولاب الحياة ، ولقد صارت هذه الكلمة الحكيمة مثلا سائرا ، وأصبحت حقيقة لا ريب فيها ولا مراء ، والحق أن هذه الكلمة يجب أن تكون : « الانسان تعاونى بالطبع » وإن كانت الكلمة الأولى تؤدى فى كنهها ومغزاها هذا المعنى ، فليس المراد من مدنية الأنسان إلا أن يتصل بغيره ، ويعمل معه .

وهذا هو التعاون عينه .

ولقد سايرت هذه الحقيقة الحياة منذ نشأتها ، وما خَلْقُ آدم وحواء معاً إلا مظهر التعاون البدائى ، ووحدته الأولى . ثم تكاثر نسلهما بعد ذلك ، ونشأت الأسرة ، فالقبيلة ، فالأمة ، وتعدد هذا النشوء فى بقاع الأرض ، فتكوّن العالم وأجناسه ، وتدرج فى الرقى عصراً بعد عصر ، مدفوعاً بحقيقة التعاون الخالدة وحدها .

والتعاون فى أوله إنما كان مقصوراً على المرء وابنه ، أو المرء وأخيه ، أو المرء وذوى عشيرته ، فكان أبناء الاسرة الواحدة متعاونين على حفظها متنافسين فى الذود عنها ، عاملين على رفعتها . ثم جاءت الأديان بعد ذلك فمدت الروابط بين الناس ، وأخرجتهامن قصورها على المرء وعشيره الى أن تكون عامة بين الانسان والانسان ، فاتسعت بذلك دائرة التعاون ، وانفسحت جوانبه ، وعم خيره ونفعه ، وحسبك شاهدا قول الله تعالى فى قرآنه الكريم : « إنما المؤمنون إخوة » وقوله سبحانه : « وتعاونوا على البر والتقوى » وسرعان ما ظهر أثر هذه الدعوة التعاونية الكبرى ، فبعد أن كان العرب قبائل شتى ، يعيشون على الفطرة ، أضحوا بفضل الاستجابة لهذه الدعوة أمة متكاتفة متناصرة ، ثم مالبثت هذه الأمة أن صارت دولة قوية تغلب الأمم على أمرها ، وتفتح البلاد العاتية فتحا مبينا ، وتدك ما شاءت من العروش ، وتديل ما استطاعت من الدول ، وتقبض على صولجان العالم مرفوعة الرأس ، مرهوبة الجانب ، أحقابا من الزمن طوالا .

وذلك هو أثر التعاون فيما جل وما دق من شئون الحياة ، نقرؤه سطوراً ناطقة على صفحات التاريخ ، ونلمسه فيما نشهد من حوادث الأيام .

وهانحن أولاء على مقربة من اليوم الذى هب فيه شبابنا متعاونين يطلبون إلى الأحزاب المختلفة أن تأتلف ، وإلى الزعماء المتدابرين أن يتلاقوا ، والى الكلمة المتفرقة أن تجتمع . وما هى إلا عشية أو ضحاها حتى أثمر « تعاون الشباب » ثمره وشيكا . فاذا بالجبهة الوطنية المتحدة تتسلم الراية القومية ، وتمضى راشدة لحل العقدة التى تزيدها الأيام تعقداً

وإحكاما . وإذا بثمرة تعاون الجبهة تنضج سريعاً ، فابرمت المعاهدة التى نرجو أن تكون وسيلة تستكمل بها الأمة حقوقها المهضومة .

ولقد عرف العالم المتمدن فائدة التعاون فى شتى مرافق الحياة ، فتنافست الأمم فى تنظيم وسائله ، وإعداد برامجه ، والعمل على أن يرجع بأكبر الفوائد وأبرك النتائج ، وخطت كل أمة فى ذلك خطوات فساحاً بقدر ما اتسع لها إمكانها . فكان واجباً علينا أن نساهم بنصيبنا فى هذا العمل الصالح ، ولاسيما ونحن فى عهد ألقيت فيه مقاليد البلاد الى أهلها ، آخذين ما أحبوا ، تاركين ما كرهوا . فعلينا أن نسدد جهودنا نحو الخير ، حتى نعلن للعالم أننا أمة تبنى كما كانت تبنى أوائلها

ومن أجل ذلك دعونا إلى «يوم التعاون» واقترحنا على زعماء الفكر والثقافة فى مصر أن يكتب كل منهم عن التعاون فى شأن من شؤون الاجتماع ومرافق الحياة ، مبيناً لشباب الأمة ورجالها الواجب عليهم فى هذا الشأن . فلقيت دعوتنا قبولا من هؤلاء السادة ، وأقيم « يوم التعاون » فحضره جمهور كبير من مختلف الطبقات ، وسمعوا ماألقى عليهم من تجارب أولئك المفكرين وآرائهم العملية .

وقد رأينا بعد ذلك أن نخرج هذه المحاضرات القيمة فى كتاب يسهل به عموم الانتفاع ، وها هو ذا بين يدى القارىء . . .

والله المسئول أن يوفقنا إلى الرشاد بـ « عونه »

سيد مصطفى

يوم التعاون

فى دار الجمعية الملكية للحشرات

كانت « رابطة التضامن الأدبى » قد دعت إلى تنظيم « يوم التعاون » برياسة حضرة صاحب السعادة الأستاذ الكبير الدكتور « محمد بهى الدين بركات بك » . وزير المعارف الأسبق . وقد كان محدداً لاقامته الساعة السادسة من مساء يوم الأحد ٩ من مايو سنة ١٩٣٧ بدار الجمعية الملكية للحشرات بشارع الملكة نازلى بالقاهرة .

فما اقترب الموعد حتى توافد على شرفات قاعة الاجتماع فى دار الجمعية عدد كبير من حضرات السيدات والآنسات وطالبات معهد التربية والجامعة المصرية ، وامتلأت القاعة بجمهور كبير من المثقفين ورجال التربية والتعليم وأعضاء مجلسى الشيوخ والنواب ، يتقدمهم حضرات أصحاب السعادة والعزة الأساتذة : محمود صدقى باشا محافظ العاصمة السابق ، ومحمود صادق يونس باشا مدير بلدية الاسكندرية الأسبق ، واللواء عزيز المصرى باشا ، وعبد الرحمن فهمى بك ، والأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه بك ، والأستاذ عبد الكريم رءوف بك المحامى ، والدكتور يحيى أحمد الدردير ، والعالم اللغوى الأستاذ محمد شوقى أمين ، والدكتور محمد أبو طائلة رئيس تحرير مجلة التعاون وغيرهم من العلماء والأدباء

وعند تمام الساعة الساعة السادسة دخل سعادة الأستاذ الكبير الدكتور «بهى الدين بركات بك» فدوت القاعة بالتصفيق والهتاف لسعادته.

ثم وقف الأستاذ سيد مصطفى المراقب العام لرابطة التضامن الأدبى وارتجل الكلمة التالية :

« باسمك اللهم وبحمدك ، وفى عهد مليكنا المؤيد ، المحبب إلى كل قلب ، زين الشباب ، وباعث النهضة فى الشرق كله ، حضرة صاحب الجلالة الملك « فاروق الأول » حفظه الله :

تفتتح رابطة التضامن الأدبى « يوم التعاون » راجية أن يكون فاتحة خير وبركة على الأمة المصرية ، وأن يكون فألا حسنا يبشر بتضافر القوى ، وتكاتف الجهود ، فى سبيل تحقيق نهضتنا الشاملة العامة فى جميع مرافق حياتنا وفنوننا ، وعلومنا ، وآدابنا . والله تعالى المسئول ، أن يحقق لنا أبعد الغايات ، وأن يهبنا قوة المخلصين ، وتوفيق العاملين . »

ثم نهض حضرة صاحب السعادة الأستاذ الكبير الدكتور «بهى الدين بركات بك» وألقى كلمته عن التعاون السياسى فقابلها الجمهور بالتصفيق والاعجاب الشديد ، وبالهتاف لسعادته . ثم ارتجل حضرة صاحب العزة الأستاذ الكبير خليل ثابت بك عضو مجلس الشيوخ ، ورئيس تحرير جريدة المقطم الغراء كلمة عن (التعاون الاجتماعى) قوبلت بالتصفيق فى كثير من المواضع لما أدمجه فيها عزته من فكاهات ومداعبات للمحاضرين الآخرين ، (وقد ضج الحاضرون بالاعجاب) على الرغم مما كان يخشاه الأستاذ الكبير وأشار إليه فى مستهل محاضرته - من تبرم الحاضرين بالاستماع إلى محاضرات يضطر فيها المحاضر إلى تذكير الناس بواجباتهم .

صاحب المعالى الأستاذ الكبير الدكتور

« بهى الدين بركات بك » ويرى بجواره

الأستاذ « سيد مصطفى » فى أثناء القاء معاليه كلمة الافتتاح

وقد بدأ سعادته محاضرته بشكر الرابطة على نشاطها ودأبها فى تنظيم الاجتماعات فى مختلف المسائل التى يعود خيرها على الأمة المصرية وفى مقدمتها مسألة « التعاون » . ثم تدرج من هذا الى موضوع (التعاون الاجتماعى) فبدأ الكلام عنه بالاستشهاد بالآية الكريمة : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ثم وصف مظاهر التعاون فى مختلف العصور من بدء الخليقة إلى الآن ، كما عرض صوراً من التعاون الاجتماعى بين بعض القبائل التى لا تزال على الفطرة ، وبين طوائف الحيوانات وغير ذلك . ثم انتقل الى وصف ما يجب من ذيوع التعاون بين سائر الأجناس والأمم ، وضرب الأمثال على التأثير السيء الذى يتخلف من نبذ ذلك النوع من التعاون . وقال : إن التعاون الاجتماعى موجود فى مصر . منذ أقدم الأزمنة ، واتخذ من التكايا وتقاليد رمضان دليلا على ذلك ، غير أنه لما كان التعاون يكون أجدى نفعاً على البشرية لو كان منظما ، دعا سعادته إلى تنظيمه حتى يعود بأطيب الثمرات . ثم أشار الى ضرورة تنظيم التكايا والملاجىء والمؤسسات الاجتماعية والعناية بأمرها .

* * *

ثم تعاقب الخطباء كل بدوره . وكان الأستاذ سيد مصطفى يقدم حضرات الخطباء بعبارات لطيفة ، وقد ألقى كلمة الختام سعادة الأستاذ الكبير الدكتور « بهى الدين بركات بك » شكر فيها الحاضرين ، والخطباء ، وسكرتير جمعية الحشرات . وانتهى الاحتفال فى الساعة الثامنة مساء .

وفى اليوم التالى صدرت جميع الصحف اليومية حاملة إلى قرائها أنباء هذا الاحتفال ، وبعض الخطب التى ألقيت فيه ، مثنية أطيب الثناء على الرابطة التى نظمته .

المحاضرات

١ — التعاون السياسى

٢ — « النسوى

٣ — « الاقتصادى (الرأسمالى)

٤ — « « (اللارأسمالى)

٥ — « الأدبى

٦ — « الصحى

٧ — « الرياضى

صاحب المعالى الأستاذ الكبير الدكتور

« بهى الدين بركات بك »

وزير المعارف الاسبق ، ورئيس « يوم التعاون »

١ — التعاون السياسى

كلمة حضرة صاحب السعادة الأستاذ الكبير الدكتور

« بهى الدين بركات بك »

وزير المعارف الأسبق ، ورئيس « يوم التعاون »

أيها السيدات والسادة :

شاءت « رابطة التضامن الأدبى » ، أن تضم الى سلسلة مجهوداتها الأدبية ، مجهوداً جديداً . فنظمت « يوم التعاون » ، وشرفتنى بأن عهدت إلى إلقاء كلمة الافتتاح ، وكلمة عن « التعاون السياسى » ، وليس منا من يحتاج الى تعريف التعاون ، أو الى القول بأنه أساس الحياة الانسانية بأجمعها ، إذ أن عيشة الفرد - إن صح وجودها - فى وقت من الأوقات عند بدء الخليقة ، فانها لم تكن سوى عيشة حيوانية بحتة ، بل إن الحيوانات الراقية نفسها ، تعيش عيشة اجتماعية تعاونية ، فالنحل والنمل وغيرها ، لها أنظمة تعاونية ، هى سر ما وصلت اليه من رقى فى بعض مظاهرها ، كذلك الانسان لم يلبث منذ الخليقة الأولى ، أن اهتدى إلى عيشة الاجتماع ، فكان مظهرها الأول (القبيلة) ، ثم تدرج رويداً رويداً ، حتى وصل إلى تكوين الشعوب والأمم ، وليس أبلغ فى التعبير عما جره ذلك التطور من الحسنات ، من تعبير القرآن الكريم فى قوله : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته

إخوانا » ومن يدرى فقد يأتى اليوم الذى تهدأ فيه الشهوات ، ويغلب العقل على الهوى ، والحكمة على نزوات النفوس ، فيتحقق السلام فى العالم ، وتصبح جمعية الأمم حقيقة ملموسة ، يتضامن فى الذود عنها ، شعوب العالم كافة ، ضعيفها وقويها .

أيها السادة :

ليس من حقى أن أفيض فى مزايا التعاون بأكثر مما قدمت ، فلست أود أن أشير الى شىء من التفاصيل عن التعاون ، وما كان له من الآثار فى الاجتماع ، وفى الاقتصاد ، وفى الزراعة ، وفى الرياضة ، وفيما وصلت إليه المرأة من الرقى فى المدنية الحديثة - فسيحدثكم عن هذه المواضيع زعيمة نبيلة ، وسادة أجلاء ، من خيرة من أنجبتهم مصر الحديثة ، ولذلك أنتقل بسرعة الى موضوعى وهو التعاون السياسى .

قد يظن البعض أن السياسة لا يمكن أن تتفق مع التعاون ، فالسياسة هى الدهاء ، وهى الوقيعة ، وهى محاربة الخصوم بكل محرم من الأسلحة ، حتى سمعنا بعض كبار الرجال الماضين ، ممن امتازوا فى العلم والأدب ، يقول : «لعن الله السياسة ، وساس ويسوس ، وسائس ومسوس ! ؟ » .

هكذا كان يقول بعض رجالنا الأفذاذ منذ نحو خمسين عاماً ، فأما اليوم وقد أخذنا نتولى أمورنا بأنفسنا ، فقد اختلف فهم الناس للسياسة ، إذ عرفنا أن الاشتغال بالسياسة ، معناه تولى أمور الدولة ، وتصريفها على الوجه الذى يتفق ونزعات الحاكمين ، وهى معاونة هؤلاء الرجال ، سواء بمشاركتهم فى العمل ، أو الترويج لهم ، بالقلم أو باللسان ، وهى معارضتهم ، ومحاربتهم ، بالكتابة أو بالخطابة ، وبالجملة فالسياسة هى

الاشتغال بأمور الحكم فى البلاد ، والعمل على تاييدها واستمرارها ، أو معارضتها والمطالبة بتغييرها ، وتحويلها عن الطريق الجارية فيه إلى طريق أصلح وأجدى ، لتحقيق المصلحة فى نظر المعارضة .

كان الحكم فى القرون الوسطى وفى الأزمان الغابرة ، تحكّم فرد فى جماعة يصرفها كيف شاء لمصلحته هو ، لا لمصلحة الجماعة ، وكان له التصرف المطلق فى شئون تلك الجماعة ، وليس لها من أمر نفسها صغير ولا كبير . وكانت القوة والخديعة ، هما الأساس الذى يبنى عليه الحكم ، فكان من نتائج استقرار تلك الحالة النفسية فى الأذهان أن كان من يأنس من نفسه الكفاية ، أو من تسنح له الفرصة فى الانقضاض على الحاكم وفى قتله والحلول مكانه ، لا يتأخر عن أن يضع نفسه موضع هذا الحاكم ليتمتع بمزاياه ، ويستبد استبداده ، ويحل شهواته ونزوات نفسه ، محل شهوات سلفه ونزوات نفسه .

ولكن الأمور أخذت تتحسن شيئاً فشيئاً ، وعلمت الانسان آلاف السنين التى مرت عليه أنه يستطيع أن يحصل من طريق السلم ، على خير مما يستطيعه من طريق الحرب ، وأن التعاون بين الناس أجدى عليهم من الحروب ، وأن مصالح الأمة يمكن أن تساس من طريق التفاهم ، والتشاور ، والاشتراك فى الأمر ، خيراً مما تساس من طريق العسف ، والاستبداد ، والانفراد بالرأى .

ومن ذلك نشأت فكرة الحكم الدستورى ، وتوطد النظام البرلمانى ، على قدر فهم الشعوب لتلك الفكرة ، وتطبيقهم لها

ونحن إذا جلنا ببصرنا فى أنحاء العالم لا نجد تلك الفكرة توطدت مثل توطدها

فى انجلترا ، ولو أن باحثاً أراد يوماً أن ينقب عن سر نجاح الانكليز ، وتوطيد دعائم الأمبراطورية البريطانية ، لما تردَّد فى أن يضع فى رأس تلك العوامل : (روح التعاون والمثابرة فى الشعب البريطانى) ولقد شاهدنا نحن المثل أمامنا واضحا فى الخمسين سنة الماضية ، فقد رأينا الانجليزى ينجح حيث كنا نخفق نحن ، ورأينا نتائج عمله تظهر للعيان شيئاً فشيئاً ، حتى كانت ذا أثر محسوس مشاهد ، لكل زائر للبلاد ، فضلا عن كل مقيم فيها . ومع ذلك فلم يكن كل الانجليز الذين تولوا الأمور فى البلاد ، بأعلم ولا بأذكى منا ، ولم يكونوا بمستطيعين وحدهم أن يفهموا حالة البلاد أكثر منا ، ولكنهم شعب متعاون مثابر .

فاذا تولى واحد منهم أمراً صاريدون ملحوظاته وأفكاره ومشروعاته ، حتى إذا حان الوقت الذى يغادر فيه ذلك العمل ، ترك جميع مادونه لخلفه ، فاذا ما جاء ذلك الخلف لم يكن فى حاجة إلى أن يبحث وينقب من جديد عما تم فى عهد سلفه ، بل استطاع أن يجد أساسا يبنى عليه ، فيتم عمل خلفه فى كل ما كان متفقاً مع خطته العامة ، وصاريدوِّن بدوره جميع ملاحظاته وآرائه ، ليتركها لخلفه كما ترك له سلفه ، وهكذا حتى صار عمل الانجليز السياسى والادارى ، سلسلة متصلة الحلقات .

أما نحن فكنا على الضد من ذلك ، ينظر الخلف إلى السلف نظرة العدو الذى يعمل على سقوط خصمه ، فلا يرضى أن يتم عملا لسلفه ، ويغضب إذا ما ذكر اسم سلفه بخير ، وبذلك صار العمل متقطعاً تنقصه الوحدة ، وصار كل والٍ يهدم عمل من تقدمه ، ولا يترك لخليفته ما يستعين به على الاسترشاد فى إدارته أمور الدولة .

كذلك انظر إلى التقاليد البرلمانية العالية ، التى تنم عن فهم حقيق لمعنى الحكم الدستورى ، والديمقراطية فى البلاد الانجليزية ، فهم إذا ما تولى حزب الحكم لم ينظر إلى أسلافه نظرة الخصم الى خصومه ، بل نظرة الشريك الى شركائه ، فالكل متعاون فى عمل واحد ، ولكن الدفة يديرها من حاز ثقة غالبية السكان . ومن ذلك ترى الحزب الذى يتولى الحكم يقدم الى الملك غداة توليه الحكم ، قائمة بأسماء من يراد الانعام عليهم بالرتب والنياشين من أنصار أسلافه . بل إنهم ذهبوا إلى أبلغ من ذلك فى فهم معنى المعارضة ، فتقرر أن يكون لرئيس المعارضة ، مرتب يتقاضاه من خزينة الدولة ، لأن تفرغه لأعمال المصلحة العامة ، لا يجعله مستطيعا أن يقوم بأعمال أخرى تكون سببا فى كسب المال .

وعلى هذا النحو تفهم المعارضة واجبها ، فهو ليس انتقاص الحكام بالحق والباطل ، وهو ليس تسوىء سمعة الناس ، وهو ليس المحاربة فى المصلحة ، لا بل هو التضامن فى كل ما كان يمس حق البلاد العام ، وقصر الاختلاف على ما كان غير متفق مع مبدأ فريق المعارضة . ومن ذلك نرى تضامنا وثيقاً ، وتعاونا شريفاً ، فى كل ما كان يتصل بأزمة دولية عامة ،

وهل هناك أبلغ فى فهم الروح الديمقراطية مما شاهدناه فى انجلترا سنة ١٩٢٣ عند ما تولى حزب العمال الحكم ، وأخذ يحاول قلب النظام الاجتماعى رأساً على عقب ، ومع ذلك صار كل فريق يدافع عن رأيه ، ويكسب الأنصار لصفه ، من غير أن تحدث ثورة فى البلاد ، أو خرق للنظام ، أو تراشق بالسهام .

هل رأيت فهما للحياة الدستورية ، وتقديراً لمعنى التعاون البرلمانى واحتراما للروح الديمقراطى أشد من ذلك ؟

تلك ناحية من نواحى « التعاون السياسى »

وهناك ناحية أخرى ليست أقل أهمية من تلك ، وهى مبلغ فهم رجال الحكم وحزبهم للتضامن السياسى ، إذ أن معنى هذا التضامن ليس الفناء فى شخصية من الشخصيات ، ولا هو التضامن فى كل تصرف من التصرفات حقاً كان أو باطلا ، بل هو إبداء الرأى الحر ، والتعاون فيما كانت فيه المصلحة ، لذلك ترى فى الحزب نفسه فريقاً ، أو فريقين لهم آراء خاصة ويجتهدون فى توجيه السياسة على النحو الذى يعتقدون صلاحه ، من غير أن يعد ذلك منهم خروجا على الحزب ، أو عدم تعاون معه ، بل أبلغ من ذلك نرى الحزب لا يتردد لحظة فى استنكار ما يحدث من أحد أنصاره إذا كان عمله ظالما ، أو كان مخالفاً لما يجب من نزاهة دقيقة للحكم . وليس أدل على ذلك من إخراج وزير العمل لأنه ثبت أن بعض الاخبار التى تهم رجال المال تسربت منه إلى بعض أصدقائه ، فاستغلوها لمصلحتهم

على هذا النحو وحده تثبت الحياة البرلمانية ، وليس هذا المعنى بعيداً عن الحكمة التى تداولناها منذ أجيال فى الحديث المأثور (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) قيل : وكيف ذلك ؟ قال : أما نصرته مظلوما فمن البداهة بحيث لا يحتاج الى بيان ، وأما نصرته ظالماً فهى برده الى الحق . أرأيت كيف أن الفطرة السليمة ترشد إلى أرقى المبادىء الاجتماعية والسياسية ؟

اما عندنا فاننا لا نزال بعيدين جداً عن تلك الروح التى تتجلى فى النظام البريطانى ، فليس فى الدواوين الا القليل من المذكرات التى يتركها

الرؤساء لمن يخلفونهم ليعلموا : ماهى آراؤهم فى الأشخاص أو المشروعات . وأما الوزراء - حتى وزراء الخارجية - فلا يزالون يعتبرون مسائل الحكم أموراً شخصية ، حتى إنك لا تجد فى أخطر المسائل مذكرات عما جرى من المفاوضات أو المحادثات بشأنها ، وإذا ارتفعت من الوزراء الى رؤساء الوزارات وجدت الأمر أدهى وأمر ، فالكثير منهم كانوا يحملون الى منازلهم بعض المكاتبات التى تدور مع دار المندوب السامى ، كأنها أمور شخصية لهم . ولقد كان ذلك من أكثر الرؤساء فى كل العهود

فلقد شاهدنا أن الأنجليز إذا ما تفاوضوا مع مصر صاروا يبعثون محاضر مفاوضاتهم إلى حكومات البلاد المستقلة التابعة لهم ، وإلى دار المندوب السامى بمصر ، فكان أصغر موظف انجليزى يعرف بالضبط ما تجريه حكومته . أما رؤساؤنا فكانوا يخفون مفاوضاتهم حتى عن زملائهم الوزراء ، حتى صار المصريون فى مركز مضحك إزاء الانجليز ، فكأن سر المصرى هو على أخيه المصرى وحده !

ومن الغريب أن تلك كانت حالتنا حتى فى المفاوضات التى اشتركت فيها جميع الأحزاب ، فقل لى بربك : على من السر !

وإنى لأرجو أن تكون تلك الحالة الشاذة نشأت عن الفترة الاستثنائية التى مرت بها البلاد فى الثمانى عشرة سنة الماضية ، فقد كنا فى حالة تشبه دور الحمى للمريض ، حتى إذا ما انتهى هذا الدور عدنا إلى نظام الفكر الطبيعى ، وجرينا على

ماتفرضه سنن الطبيعة الاجتماعية ، فذلك وحـــده سبيل النجاح ، ولاقيام للحياة البرلمانية بدونه .

وانى لأرجو أن يكون مارأيناه فى البلاد من هدوء وانتظار لنتائج مؤتمر مونترى ، علامة على أننا أخذنا نبلغ شيئامن النضج السياسى يجعلنا ننظر الى الحكم تلك النظرة العالية ، التى تجعله اشتراكا شريفا للعمل على رقى المجتمع الذى نعيش فيه ورفاهيته وسعادته للمصلحة العامة وحدها

صاحبة العصمة السيدة الجليلة

« هدى شعراوى هانم »

زعيمة النهضة النسائية ، ورئيسة الاتحاد النسائى المصرى

٢ ـ التعاون النسوى

كلمة حضرة صاحبة العصمة السيدة الجليلة

« **هدى شعراوى هانم** »

زعيمة النهضة النسائية . ورئيسة الاتحاد النسائى المصرى

معالى الرئيس ، سيداتى ، سادتى :

قال الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)

آية كريمة من التنزيل الحكيم جمعت فأوعت . أمرنا الله فيها أن نتعاون فى سبيل الخير والاصلاح . لأن فى التعاون قوة ، وهذه القوة إذا وجهت لخدمة الانسانية أنتجت الخير . وإذا وجهت نحو الشر سببت الخراب والدمار . لذلك بين الله لنا مايجب أن نتعاون عليه لنفلح . وقد وجه هذا الأمر إلى عباده على السواء . ولم يخص به الرجل دون المرأة ، شأنه فى جميع أوامره ونواهيه . لذلك وجب على الرجل والمرأة أن يتعاونا على إسعاد الجماعة . ونهانا عن التفرق لأنه يؤدى الى الفشل . فاذا طلبنا نحن معشر النساء أن يعطى للمرأة مكانها بجانب الرجل فى شؤون الحياة ، ما كنا فى ذلك مغاليات فى طلبنا ولا حائدات عن أمره تعالى . ويسرنا من رجالنا المصلحين أنهم بدأوا يعترفون لنا بهذه الحقيقة التى طالما أنكرها

السابقون علينا . فنجدهم لايتركون فرصة تمر دون أن يدعونا للاشتراك معهم فى العمل ، ويشجعونا على استمرار النشاط فى طريق نهضتنا والمثابرة على السعى وراء الاصلاح . فشكراً لهم على هذه الثقة الغالية وهذا التعضيد المحمود الذى سيكون له فى تطورنا أحسن الأثر .

سادتى وسيداتى :

إننا إذا تأملنا طبائع الخلق وجدنا أن الانسان أحوج المخلوقات إلى التعاون . ووجدنا أن روح التعاون فى المرأة غريزة طبيعية مصدرها الحنان الذى خصها الله به لتقوم بأعباء الأمومة . أليست الأم هى التى تعاون طفلها من البداية إلى النهاية فى جميع تطورات أموره وأحواله ؟ فهى التى ترعاه فى صغره . وتعاونه على نقل أول خطوة يخطوها على الأرض . وتضع فى فمه أول لقمة يتناولها . وهى التى تسهر عليه إذا مرض ، وتحمل من آلامه أكثر مما يحمل . وتضحى فى سبيل سعادته بكل مرتخص وغال . وتظل تعاونه على أعباء الحياة حتى يشب ويشيب . أى معاونة أسمى وأجدى وأصدق من معاونة الأم ؟ وأى تضحية فى المساعدة أكثر من التى تبذلها المرأة ؟

إذا تتبعنا التاريخ وجدنا أن المرأة لم تبخل فى وقت من الأوقات عن مد يد المعونة فى سبيل الخير والإصلاح لمن طلبها . بل وجدناها تساعد الأنبياء فى نشر الأديان . وتخفف من آلام البشر فى الحروب والشدائد بتضميد جروح المجاهدين والأخذ بناصر اللاجئين إلى حماها . ومازالت الى يومنا هذا رغم كل التقلبات التى مرت عليها لم تتحول عن سجيتها . فالفلاحة تساعد زوجها فى بيته وحقله . والحضرية تسعى جهدها فى

مقاومته على مكافحة الحياة وتربية أولادها . ولو أدى ذلك بها إلى أن تخوض ميدان العمل . ولم تكتف المرأة بمعاونة أهلها وذويها بل تعدت تلك الدائرة بمعاونة الرجل فى الأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وقد اشتركت فى تكوين الجمعيات على اختلاف أنواعها . وساهمت فى إنشاء المدارس والمصانع ، والملاجىء والمستوصفات ، وفى بناء المساجد . كما لعبت أدواراً هامة فى كل نهضة وطنية ، وساعدت الرجل فى هذا الميدان ، فكان لمساعدتها أثر فعال .

ولكننا نشاهد مع الأسف أنه بالرغم من كل ماتظهره المرأة من استعداد ورغبة لمعاونة الرجل فى جميع مرافق الحياة نراه يحاول الانفراد دونها بالأعمال العامة ، حباً منه فى الاستئثار بها والانفراد باجتناء الفوائد المادية لنفسه خشية أن تزاحمه المرأة فيها . لذلك نراه يريد حجزها فى بيتها وحصر مهمتها فى إدارته وتربية أولادها . ناسياً أن مثل هذه المهمة الكبرى تتطلب لحسن القيام بها أن تكون المرأة على جانب عظيم من الثقافة والخبرة . لتستمد منها القوة والنفوذ اللازمين لها للقيام بوظيفتها الشاقة . فالمرأة وهى المدرسة الأولى يجب أن تكون على جانب عظيم من التعليم والثقافة والاختبار ، ليمكنها أن تربى ولدها على الوجه الأكمل .

ولأجل أن تعنى بصحة أولادها وتقوية أجسامهم وتقويم أخلاقهم ، يجب أن تكون لها ثقافة عامة تمكنها من بسط سلطانها ونفوذها اللازمين على أولادها ، لأن الولد إذا لمح فى أمه أنها فى مستوى من الثقافة أقل من مستواه صعب عليه الانقياد لأوامرها والأخذ بنصائحها وإرشاداتها .

وكذلك يجب أن يكون لها حق الاشتراك فى التشريع لتشرف على نظام الصحة والتعليم والرياضة فى المستشفيات والمدارس . وألا يقام نظام دون أخذ رأيها ، ولاسيما فيما يختص بتقويم الأخلاق وتنظيم إصلاحيات الأحداث ، لأن المراة أعلم بنفسية الطفل وما تحتاج إليه تربية عقله وجسمه ، وقد برهنت التجارب أن نظام الحياة لايتم توازنه مادام نصف البشر لايشترك فى تسيير دفة الأمور .

سادتى ـ سيداتى :

لأجل أن يكون التعاون شاملا مجديا يجب أن يكون مشتركاً بين الجنسين المكمل أحدهما للآخر ، لذلك كنت أود عندما أردتم أن تفسحوا للمرأة بينكم مكانا فى هذا الاجتماع ألا تحصروا عملها فى حلقة ضيقة أسميتموها (التعاون النسوى) بل كنت أود أن تشركوها معكم فى بحث كل المسائل التى تدرسونها لتستثمروا تجاربها وآراءها فيها . لأنى لا أرى للنساء مصالح منفردة للتعاون على بحثها وخدمتها . فللمرأة فى السياسة والزراعة والصحة والرياضة والاقتصاد مركز طبيعى مكتسب كالرجال لاينكره عليها منكر ، ولها فيها مصالح وحقوق لا يجحدها جاحد . والتعاون فى كل هذه المرافق لايتحقق معناه إذا كان مقصوراً على الرجال فقط ، ولا يكون مثمراً لأنه يحرم نصف البشر من التمتع به والاشتراك فيه .

أما التعاون النسوى فهو موضوع يتعسر علىّ التكلم فيه ، لأننى أعتقد أن ليس للنسوة شىء خاص يتعاون عليه وحدهن ، اللهم إلا إذا كان الشكوى من هضم الرجال حقوقهن أو التآمر عليهم ! ولا أظن أنكم أردتم

هذا النوع من التعاون عند ما حددتم مهمتنا ودعوتمونا للاشتراك في هذا الاجتماع .

لذلك أطلب من حضراتكم أن تفسحوا للمرأة مكاناً في كل اللجان التي تتناول الموضوعات المختلفة التي تعالجونها . وبذلك تكونون قد حققتم أول خطوة في سبيل النجاح ، وفيما تقصدون من إصلاح ، وأعدتم الحق إلى نصابه ، وبرهنتم على أنكم قوم عادلون .

---

٣ ـ التعاون الاقتصادى (الرأسمالى)

كلمة صاحب العزة الاستاذ الكبير

عبد الله فكرى أباظه بك

مدير شركتى مصر لحليج الاقطان والنقل والملاحة

معالى الرئيس ، سيداتى ، سادتى :

حين تفضل منظمو هذا الاجتماع بدعوتى للكلام فى (التعاون الرأسمالى) تفاهموا معى على أنهم لايقصدون من كلمة (التعاون) معناها الاقتصادى ، بل قصدوا المعنى اللغوى . فالتعاون بتعريفه العلمى المحدود يتنافى مع الرأسمالية بالمعنى المفهوم منها .

إن العقيدة السائدة عند بعض الناس أن التعاون الصغير الذى أطلق عليه فى هذا الاجتماع اسم (التعاون اللارأسمالى) خصم للتعاون الكبير أو «الرأسمالى» . ولقد كانت هذه العقيدة حقيقة فى الماضى إلى حدٍّ مّا يوم كانت الرأسماليه متعسفة جامحة ـ ولكن تقدم المدنية وتطور القوانين قرّب كثيراً من وجهات النظر ، وحدد علاقات رأس المال بالعمال وضبط حقوق كل منهما وواجباته ، فحل التفاهم محل التشاحن ، وحسنت العلاقات فى كثير من النواحى إلى درجة جعلت هناك نوعا من التآلف

صاحب العزة الأستاذ الكبير

« عبد الله فكرى أباظه بك »

مدير شركتى مصر : لحليج الأقطان ، والنقل والملاحة

بين التعاون الكبير والصغير ، وتوفيقاً بين الصالح الخاص والصالح العام ، واستظل التعاون اللارأسمالى بالتعاون الرأسمالى ، وعمل فى كنفه بنجاح وسلام. فكم من شركة من الشركات الصناعية الكبرى شجعت تكوين شركات تعاونية أو صناديق ادخار لموظفيها وعمالها ، وهى سائرة فى جو من التوفيق والطمأنينة والوئام .

والتعاون الرأسمالى هو الاشتراك فى استغلال رءوس الأموال للقيام بما لايستطيعه الفرد وحده . وإذا كان هذا التعاون معروفاً لدى الغربيين معمولا به منذ مئات السنين ، فانه بالنسبة لنا حديث العهد يرجع الى سنوات معدودات . ولقد ظل المصريون الى ماقبل سنة ١٩٢٠ لايقبلون على أى نوع من أنواع استغلال الأموال إلا فى (الطين) ولم يكن من المألوف عندهم التعاون فى استغلال أموالهم بطريق المشاركة لتأسيس بنوك أو شركات مالية أو صناعية ـ ولعل ذلك راجع إلى بعض العوامل الآتية أو كلها مجتمعة : ـ

أولا ـــ مخافة الربا ، واعتبار أعمال البنوك أو أرباح الشركات ربا مخالفاً للدين الحنيف .

ثانياً ـــ نقص تبادل الثقة بين أصحاب الأموال .

ثالثاً ـــ عدم نضوج الأمة علمياً ، وعلى الأخص فى الشؤون التجارية والمالية .

رابعاً ـــ ضعف روح المغامرة فى المصريين

خامساً ـــ وجود مصر تحت سيطرة الحكم الأجنبى ، وتنافى ذلك مع النهضة القومية .

ولقد كان أول من حطم تلك القيود وذلل تلك العقبات فى مصر رجل تعرفونه ، وماهو فى حاجة الى التعريف - بل يعرفه اليوم العالم أجمع - وفى ذكراسمه غمط لقدره

أقدم هذا الرجل العامل فى سنة ١٩٢٠ مستفيدا من النهضة النفسية التى شملت البلاد حينذاك - فنفذ عزمه الذى اعتزمه قبل ذلك التاريخ بسنوات يوم نادى به فى المؤتمر المصرى فى سنة ١٩٠٨ فلم يلق حينذاك مالاقاه من نجاح فى سنة ١٩٢٠ - ووضع أول حجر فى بناء التعاون الرأسمالى فى ٧ مايو سنة ١٩٢٠ بتأسيس بنك مصر .

وبينما كانت رؤوس أموال الشركات الاجنبية فى مصر فى ذلك الحين لاتقل عن مائة مليون من الجنيهات ، تكوّن بنك مصر برأس مال قدره ثمانون ألف جنيه ، فكان ذلك الرقم المتواضع مدعاة لسخرية الساخرين ، ومن بينهم مع الأسف العظيم - بعض المصريين - ولعبت العوامل التى ذكرتها دورها مع الجامدين المتعنتين ، والمترددين والمتخاذلين ، ولكن عنصر النصر والخير تغلب - بعون الله تعالى - على عنصر الضعف والشر - وقدر للمشروع الناشىء النجاح ، ثم تلاه بعد ذلك غيره وغيره من المشروعات بنجاح يتلوه نجاح - ولو علم الحاقدون أو المترددون أن مؤسسى بنك مصر حين اعتزموا وأجمعوا أمرهم قد أودعوا قلوبهم الى جانب أموالهم ، وآمال المصريين كافة الى جانب آمالهم ، لأدركوا أن الثمانين ألفاً - يغذيها الاخلاص والإقدام - تستطيع أن تفعل مالاتفعله الملايين - أولم تصعد الثمانون ألفاً الى مليون من الجنيهات فى سبع سنوات ؟ وتبلغ الودائع فى مدى خمسة عشر عاماً مالايقل عن اثنى عشر مليوناً من الجنيهات ؟ - و تأسست من حول بنك مصر أربع عشرة شركة

واحدة بعد أخرى ، فقفت خطاه ، ونجحت نجاحه ، وبلغت رؤوس أموالها مايقرب من الأربعة ملايين ؟ فمن أين جاءت كل تلك الملايين ؟ ألم يكن يحجبها عن الحركة والظهور جهل ووهم وعدم إدراك لمزايا التعاون الرأسمالى ، ونقص فى الثقة التجارية المتبادلة بين المصريين فى العهد الماضى - حتى جاء بنك مصر بالمعجزة العملية فتفتحت العيون - وشجع الناس على استغلال أموالهم فى غير (الطين) الذى طالما ألفوه فرفعوا سعره وبخسوا ريعه - وأقدم المصريون من رجال ونساء وشيوخ وشبان وأطفال على المساهمة فى ذلك العمل القومى المشترك ، فكان لهم من ذلك التعاون أوفر نصيب ، وأحس المصريون إحساساً عملياً بأن الوهم الذى طالما تسلط على عقولهم فزعزع ثقة بعضهم ببعض هباء ، وأن جمود المتحذلقين عن المساهمة فى الأعمال المصرفية والتجارية بحجة نهى الدين عن الربا لم يعد يتفق مع تقدم المدنية والعمران الحديث ، وأنه من العبث والسخف أن يعامل المصريون - حتى شيوخهم - البنوك كمدينين مستغرقين ، ومستغلين تستنزف تلك البنوك جهدهم وتمتص دماءهم - وأن يناوئها مستفيدين مستثمرين ، هذا فضلا عن أن وجود المصرف الوطنى قد حدا بالمصارف الأجنبية إلى تقدير المصريين والعمل على إرضائهم والاحتفاظ بعملائها منهم بمنحهم شروطاً أصلح من شروطهم السابقة على وجود (البعبع) الوطنى الجديد .

ولقد كان لتقدم التعليم فى السنوات الأخيرة - والتجارى منه بنوع خاص - أثر واضح فى نجاح مشروعاتنا المالية الجديدة ، وفى تقدير الناس مزايا التعاون فى تأسيس مشروعات تجارية ، وإدراك ماهية الأسهم والسندات والمضاربات وأعمال البورصات .

ولقد تطور التعاون الرأسمالى فى العالم أجمع إلى درجة أنه وجد بين بعض الشركات التى تعمل فى فرع واحد ، منعاً للمنافسة والمزاحمة ، أو بين شركات مختلفة الأغراض ، ولكنها متحدة الأصل ، كما هى الحال فى بنك مصر وشركاته ، فالبنك يساهم فى تأسيس كل شركة من شركاته بنصيب ، وكل منها تساهم فى أخواتها بنصيب ، حتى يوزع بينهن جميعاً - وإلى حد محدود - حظ كل منشأة منها فى السنين السمان أو العجاف - وتلك ظاهرة واضحة من ظواهر التعاون المحمود .

بل إننا نرى فى كل يوم تأليف اتحادات تجارية دولية تؤدى إلى تعاون رأسمالى واسع النطاق ، فلقد دلت التجارب فى كثير من فروع الصناعة والتجارة على أن المنافسات بين الشركات الكبرى قد تصل فى أغلب الأحيان إلى درجة من التناحر يستحيل معها أى ربح - ولم يوجد لتلك الحال علاج أنجع من التعاون الذى يحفظ التوازن بين الدخل والصرف ، ويكفل النجاح والرفاهية للجميع .

إن تقدم نسبة التعليم فى مصر ، وضيق أبواب العمل فى الحكومة أمام آلاف المتخرجين فى كل عام - كفيل باتجاه هؤلاء إلى العمل الحر المنتج ، ولاسيما إذا تعهدتهم رعاية أصحاب رؤوس الأموال فانتفعوا بهم ونفعوهم ، وخلقوا منهم جيلا جديداً يعتمد على نفسه ، ويقدر مزية التعاون بين الأفراد للقيام بجلائل الأعمال التى يقصر عنها جهد الفرد - وأن يعتبروا بقول الشاعر الذى خاطب قومه بقوله :-

يا غافلين تآلفوا وتحالفوا وصلوا الوداد
فالنمل لازم الاتحـا د فجر وزنا عنه زاد

صاحب العزة الأستاذ الدكتور

« ابراهيم رشاد بك »

مدير مصلحة التعاون ، وأحد أقطاب الحركة التعاونية

٤ — التعاون الاقتصادى (اللارأسمالى)

كلمة حضرة صاحب العزة الاستاذ الدكتور

« ابراهيم رشاد بك »

مدير مصلحة التعاون ، وأحد أقطاب الحركة التعاونية

معالى الرئيس ، سيداتى ، سادتى :

لست أدرى أمن حسن حظ التعاون أمن سوء طالعه أن يسمى « تعاونا » فان هذه الكلمة شائعة بين الناس ، وهى تعنى عندهم التضامن والتكاتف والتآزر والاتحاد وكل مايتصل بهذا المعنى الجليل ، ولكن التعاون — كما ابتدع فى أوروبا وكما نمارسه فى مصر — نظام « اقتصادى » محدود المعنى ، مفصل القواعد . وهانحن أولاء فى هذا الاجتماع نستعمل كلمة « التعاون » على وجهين : الوجه العام الذى يراد به التضامن ، ويتكلم فيه حضرات زملائى الأفاضل من نواحيه المختلفة ، والوجه الخاص الذى يقصد به الحركة التعاونية الاقتصادية الاجتماعية .

ان هذه الحركة — أيها السادة — حركة عالمية لم يخل منها قطر من أقطار العالم المتمدن ، وهى ترمى إلى إسعاد الطبقتين الدنيا والوسطى ، وتوفير الرخاء والهناءة لهم وفق أساليب معينة .

وهذه الأساليب بعيدة كل البعد عن أساليب العنف والهدم ، فهى تقوم على التطور لا على الطفرة ، وتتذرع بالسلم حتى حيال أشد المذاهب الاقتصادية مخالفة لروحها ومناوأة لغايتها ، وأعنى به المذهب الرأسمالى . ولعل أقرب برهان على ذلك أننا نحن التعاونيين نتباحث مع الرأسماليين فى هذا الاجتماع جنبا إلى جنب ، ونجادلهم بالتى هى أحسن . . .

وإنى — فى هذه المهلة الوجيزة المحددة لى — أضع تحت نظر حضراتكم ثلاث نواح مختلفة للتعاون عساكم باستيعابها أن تقدروا موقف التعاونيين من غيرهم ، وأن تزنوا امكانة التعاون ، فى العالم ، وأن تدركوا ملاءمته لحياتنا القومية ، وضروروتة لنهضتنا الحديثة ، وتلك النواحى الثلاث هى :

اولا — الفرق بين المذهب التعاونى والمذهب الرأسمالى

ثانيا — التعاون بأنواعه ، ومكانته فى مختلف البلدان وفى بلادنا .

تالثا — الأسباب التى تجعلنا نعتقد أن التعاون هو أكفل النظم الاقتصادية الاجتماعية بالنهوض بالشعب المصرى .

الفرق بين المذهب التعاونى والمذهب الرأسمالى

إن معنى الرأسمالية أن يقوم صاحب المال بمفرده أو بالاشتراك مع أمثاله بعمل يستثمر فيه الأموال بطريقة منظمة تضمن له أجزاء الربح

أما التعاون فمعناه اشتراك جماعة من متوسطى الحال فى التعامل لا بقصد الربح على حساب الغير ، بل توحيداً لجهودهم وأموالهم ، خدمة لأنفسهم جماعة وأفرادا .

وفى ظل النظام التعاونى يتقاضى حمله الأسهم فائدة معقولة لا أكثر ولا أقل ، ويتقاضى العاملون جزاءهم الحق من الأجر . فليس هناك استغلال من طائفة لأخرى من شأنه أن يقسم الناس الى أغنياء وفقراء .

ولما كان باب الجمعية التعاونية مفتوحاً لمن كان مقيما بالناحية ومن حسن خلقه ، دون تفرقة فى الحقوق بين حامل السهم الواحد وحامل العدد من الاسهم ، فقد ضمن الناس الانتفاع بالتعاون مع توافر العدالة وشمول المساواة للجميع .

هذا كله يقع تحت الوجهة المادية للتعاون . وليس للرأسمالية من وجهة غيرها . ولكن للتعاون غاية اجتماعية لاتعد تلك الوجهة المادية سوى وسيلة لها . فان التعاونيين يعتقدون أن توافر المادة أمر ضرورى لتحسين الحالة الاجتماعية . ولذا يحرصون دائماً على تخصيص جزء محترم من أرباحهم للقيام بمختلف الأعمال التى ترفع مستواهم الاجتماعى ، وكذلك مستوى البيئة التى يعيشون فيها . ناهيك ما تهيئه الجمعية لأعضائها من فرص لتحسين معلوماتهم التجارية والمالية ، وتدريبهم على الأساليب الحديثة للأخذ والعطاء ، وزيادة ثروتهم من الثقافة العامة . وناهيك ما يبثه التعاون فى نفوس الآخذين به من روح التضامن والحرص على مصلحة المجموع والاضطلاع بالمسئوليات ، والتعود على الشورى والنظام ، وتوطيد الروح الدستورية فى النفوس . وهذه الأخلاق لاتلبث أن تخرج عن نطاق الجمعية التعاونية إلى منطقة القرية ، ثم الى البلدة ثم الى الوطن باجمعه ، ومن ثم تجد الفرد التعاونى « مواطنا فاضلا » ومثالا حسنا لغيره من المواطنين .

التعاون وأنواعه

ومكانته فى مختلف البلدان الأجنبية و فى بلادنا

فى كل أمة متحضرة حركة تعاونية تتناول ريفها وحضرها ، فتقوم فيها الجمعيات التعاونية بأنواعها المختلفة من زراعية و منزلية و مالية و صناعية ، وبعض هذه الجمعيات محلية تخدم قرية أو بلدة وأعضاؤها أفراد . وبعضها مركزية تخدم إقليما أو قطراً وأعضاؤها جمعيات محلية ، وكل هذه الجمعيات بمختلف أنواعها تخدم فكرة واحدة هى تحسين حالة الشعب اقتصادياً ورفع مستواه اجتماعيا ، ورائدها فى ذلك شعارها العالمى : «الفرد للمجموع والمجموع للفرد» وذلك الشعار الذى يرمى إلى توحيد مصلحة الفرد ومصلحة المجموع بحيث لا يكون هناك تنافر بينهما بل توافق واندماج ، فيتجه تفكير الفرد والأمة وجهدهما الى هذه المصلحة المزدوجة وتحقيقها ، وهل هناك ضمان أقوى من ذلك لاصلاح حال الشعب ؟

ولما كانت الاحاطة بمكانة التعاون والتعانيين فى مختلف البلدان لا يتسع لها الوقت المحدد لى ، فانى سأكتفى بذكر بعض البيانات العامة عن مملكتين فقط ، إحداهما انجلترا زعيمة الحركة التعاونية المنزلية فى العالم ، والأخرى الدانيمارك رائدة الحركة التعاونية الزراعية :

انجلترا :	عدد الجمعيات المنزلية	١٢٠٠	جمعية تقريباً
	عدد الأعضاء حوالى	٨	ملايين عضو
	رأس المال المدفوع نحو	١٥٥	مليون جنيه

قيمة المبيعات فى السنة

الماضية نحو ٣٦٠ مليون جنيه

الدانيمارك : الجمعيات الزراعية

أكثر من ٤٠٠٠ جمعية

عدد الاعضاء نحو ١ ٣/٤ مليون عضو

قيمة معاملات الجمعيات

مع أعضائها ١٣٠ مليون جنيه انجليزى تقريباً

إذن ليس عجيبا أن نلقب الدانيمارك التى لايزيد عدد سكانها على ٣ ٣/٤ مليون نسمة « بالدولة التعاونية »

أما فى مصر فيوجد الآن نحو ٧٥٠ جمعية تعاونية عدد أعضائها ٧٥ ألف عضو تقريبا ، ورأس مالها المدفوع نحو ٢٦٠ ألف جنيه ، وقيمة خدماتها فى السنة الأخيرة حوالى مليون جنيه .

لماذا نعتقد أن التعاون أكثر النظم ملاءمة لنا

نحن الآن فى مصر على أبواب الدخول فى ميدان الرأسمالية فى نطاق واسع ، فيجدر بنا أن نتبصر فى الأمر وان نعنى بالتعاون عناية خاصة لعلنا نستطيع أن نحول سكان السفينة من الرأسمالية الى التعاون من أول الأمر وبذا نتفادى جهد الطاقة تلك العلل الاجتماعية التى جاءت أوروبا فى ركاب الرأسمالية ، فادت الى إتساع الفروق بين الطبقات وماتبع ذلك من قلب للنظام العام كما فعلت روسيا من ثورات وحروب داخلية كما فى غيرها ومن تعديل أو ترقيع فى النظم لايجدى . ونحن فى غنى عن كل ذلك إذا تداركنا الأمر منذ البداية واقمنا حياتنا الجديدة على أساس تعاونى سليم

يكفل للجميع عدالة الانتفاع بثروة البلاد المادية والأدبية .

وهذا الوضع التعاونى مع سلامته هو أكثر النظم موافقة لميولنا القومية التى لا تقبل الطفرة ، بل تروم التطور الثابت والتقدم الوئيد . وهناك أيضا انسجام بين التعاون وبين آدابنا القومية التى تقول : « وتعاونوا على البر والتقوى » و « الدين المعاملة » و « الناس بخـــير ماتعاونوا » و « خادم القوم سيدهم » و « يد الله مع الجماعة »

إننا اليوم نبدأ عهداً جديدا من تاريخنا ، فقد وكلت « المعاهدة » أمورنا الينا ، ونحن أمة ذات ثروة طبيعية وذات قوة معنوية ، فينبغى لنا ان نتذرع بالاخلاق التعاونية الصميمة ، فنعتمد على أنفسنا ونتكاتف جميعا على العمل الصالح ، ورائد كل منا التكوين المادى والأدبى لا لشخصه فقط ، بل لبيئته كلها ولمواطنيه جميعهم ، وبهذا وحده يعلو المستوى المادى والأدبى للشعب .

إنى لست أول الداعين الى التعاون فى مصر ، فقد دعا اليه قبلى عمر لطفى والسلطان حسين كامل وسعد زغلول باشا وفتح الله بركات باشا . وما كان لهذه الشخصيات البارزة أن تدعو اليه وتجاهد فى سبيله إلا بعد إيمان بنفعه ، وإدراك أنه أضمن الوسائل للنهوض بالشعب . والحكومة العاملة على « تنظيم بيتنا » كما يقول الانجليز على هـــذا الأساس ، لهى الحكومة الموفقة حقا .

ولما كان طريق الاصلاح السليم واضحا معبدا وهو طريق التعاون ، فلا داعى لسلوك طرق أخرى للاصلاح الاجتماعى ليست مثله مضمونة الغاية ، ولا مأمونة المسلك . ولو توحدت جهودنا حكومة وشعباً فى طريق واحد نجعله «الطريق السلطانى » لنهضتنا كما جرى الاصطلاح ، لكسبنا كثيراً ، ولحققنا ما نصبو اليه من رقى وفلاح .

نقيب الأدباء الأستاذ

« كامل كيلانى »

٥ ـ التعاون الأدبى

كلمة نقيب الادباء الاستاذ

كامل كيلانى

معالى الرئيس ـــ سيداتى ، سادتى .

لقد أبدع الكاتب الساخر المفتن « سويفت » فى خياله البارع ، الذى حداه ـ فى كتابه الباقى يد الدهر ـ إلى تصوير جزيرة الجياد الناطقة ، حيث تسود الجياد وتحكم ، وتساد الأناسى وتستعبد .

ولقد بلغ ذروة التوفيق حين أجرى حواره الرائع على لسان جلفر ـــ بطل قصته الخالدة ـ وأحد هؤلاء السادة الجياد .

فقد عرض السيد الجواد لنقائص الجنس البشرى ـ بالتحليل والتمحيص ـ وكان من أكبر العيوب التى أخذها على أبناء جنسنا ـ نحن الأناسى ـ إفراطنا فى الأنانية والشره ، والحسد والتخاذل ، فقال فيما قال :

« إن دواب الياهو (يعنى الدواب الانسانية) تمتاز ـ فى بلادنا ـــ من سائر الدواب الأخرى ، بأنها متباغضة متنافرة ، لا يكاد يأتلف منها اثنان حتى يختلفا .

وهى مشهورة بحقدها ، وبغى بعضها على بعض .

وكل دابة - من هذه الدواب - تمقت أبناء جنسها أكثر مما تمقت أى دابة أخرى .

* * *

ثم استأنف السيد الجواد صاهلا :

«ومن دلائل الشره الذى خصصتم به يا معشر الياهو - فى بلادنا وبلادكم على السواء - أننا إذا أعطينا خمسا من هذه الدواب ، طعاما يكفى خمسين دابة منها ، لم تقنع به ، ودفعها الشره إلى طلب المزيد ، ودب بينها الشقاق والنفور ، وأبى كل فرد منها إلا أن يستأثر وحده بكل ما قدمناه من الغذاء

وما أسرع ما تحل الجلبة والصخب محل الهدوء والسكون ، وثم تغير كل دابة على الأخرى ، فتأخذ بشعرها ، وتعرك أذنها ، ولا يحلو لواحدة منها أن تأكل إلا ما تهم غيرها بأكله .

وقد ألفنا منها (أى الدواب الآدمية) هذه الأنانية الممقوتة ، فلم نسمح لها أن تأكل خارج حظيرتها ، إلا إذا حرسها خادم من خدامنا .

فاذا عادت إلى الحظيرة ، ربطنا كل دابة منها على مسافة بعيدة عن الأخرى ، حتى لا تحدث بينهما معركة حامية الوطيس . »

* * *

سيداتى ، سادتى :

هذا مثال صارخ للتناحر الانسانى ، وهل الأدباء إلا أناسى ، تلحقهم عيوب الجنس وعلله ، ومواهبه ومزاياه ؟

بل الأدباء صفوة مختارة من هذا الجنس ، فلا بدع إذا احتشدت فى نفوسهم صفوة مختارة من خسائسه وكمالاته .

فانهم - لفرط إحساسهم المستوفز ، وضعف أعصابهم المرهفة —

يسرفون فى الايغال فى مهاوى الجنس ومراقيه ، ولا يؤثرون القصد والاعتدال فى أى ضرب من ضروب الرذيلة أو الفضيلة على السواء .

ورحم الله أبا فراس القائل :

« ونحن أناس ، لا توسط بيننا لنا الصدر ـ دون العالمين ـ أو القبر »

* * *

على أن المصلحين قد وفقوا ـ بحمد الله ـ بعض التوفيق ، بعد أن بذلوا جهود الجبابرة فى سعيهم ، إلى محاربة كثير من الرذائل الانسانية ، ولا أقول القضاء عليها ، وأفلحوا ـــ إلى مدى بعيد ـــ فى إنشاء جماعات تعاونية فى أكثر الأمم المتحضرة ، وثبتت هذه الجماعات ـ بعد أن عصفت بها الأعاصير أو كادت ـــ ثم عادت على أصحابها بالخير العميم .

وانتقلت إلى الشرق اليوم جمهرة من المبادىء النافعة ـــ التى عزّ بها قديماً ـــ وقبسنا من تلك النظم شيئاً صالحاً .

وقد أظفرتنا جهود ذوى الغيرة ـــ من دعاة الاصلاح ـــ بثمار شهية فى كثير من الميادين التى جالوا فيها جولاتهم الموفقة الصادقة .

فنجحت المؤسسات الاقتصادية والزراعية والمالية وما إليها ، بفضل إخلاص القائمين بها ، وتضافر قواهم ، وصدق عزائمهم .

وشاء الله ـــ سبحانه ـــ أن تنتصر هذه الميزات الباهرة على ما وسم به الإنسان من نقائص الأنانية والجشع .

* * *

وليس الأدباء مهما أسرفوا وأوغلوا فى تناحرهم إلا طبقة من الأناسى - كما قلنا - فلا معنى لليأس من تضافرهم وتعاونهم . فقد يئس المصلحون فى أوائل هذا القرن - أو كادوا - من تحقيق بعض أحلامهم النبيلة ، ثم دار الزمن دورته ، فاذا بهذه الاحلام تتحقق فى زمن قصير ، لم يكن يدور بأخلاد المتفائلين ، بله المتشائمين .

***

ولئن أخفق كثير من جماعات الأدباء التى رجونا على أيديها خيراً عميما للأدب والأدباء ، ودمرت الوشايات والدسائس والأنانيات الرخيصة أركانها المتينة ودعائمها القوية ، لقد ثبتت إلى جانبها - جماعات أخرى ، وصمدت - على قلة عددها - للعواصف ، وغالبت الأنواء والزعازع ، ثم خرجت من المعركة موفورة الكرامة ، مرفوعة الرأس ، وعلا البناء - بعد أن استتب الأساس .

وسوف تظل هذه الجماعات - وقاها الله أعين الحاسدين ، ونجاها من كيد الكائدين ، وحفظها من عبث العابثين - أمثلة عملية تنير الطريق لغيرها من الجمعيات ، وأملا باقياً لكل من يستشعر الهزيمة ، أو يدب إلى نفسه الأمارة بالسوء ، دبيب اليأس من تضافر الأدباء وتعاونهم .

***

خبرنى وخبروني - أيتها السيدات ، وأيها السادة - أليس فى نجاح « لجنة التأليف والترجمة والنشر » وثباتها زهاء ربع قرن ، وتغلبها على مالقيته من عقبات وأهواء ومحن ، دليل على صحة ما نقول ؟

أليس فى ثبات « المجمع العلمى العربى » بدمشق مصداق هذا ؟ الرأى وهذه اللجنة الشابة التى أخذت أنفسها « بترجمة دائرة المعارف الإسلامية » أليست مثلا ناجحاً للتعاون الأدبى ؟

سيداتى ، سادتى :

يقول الشاعر الانجليزى :

قطرات المياه ، منها محيط وصغار الحصى تكوّن أرضاً
ودقيقاتنا تؤلف جيلا بعد جيل - فى إثره - يتقضى
وقليل الحنان والحب ، مما يجعل الارض جنة الخلد ، خفضا

وما أصدق هذه الأبيات ، وأروع مغزاها التعاونى ، وأجدر الأدباء أن يتخذوها شعاراً لألفتهم ، ورمزاً لتضامنهم .

* * *

للأدباء أن يتنافسوا ، فإن التنافس الشريف وسيلة شريفة ناجحة لحفز الهمم وإلهاب النفوس . أما أن يتقاتلوا ويحقر بعضهم بعضاً ، ويكون شعار كل أديب قول ذى الاصبع العدوانى :

« فخالنى دونه ، بل خلته دونى »

أو قول أبى العتاهية :

« كل امرىء - فى نفسه - أعلى وأشرف من قرينه »

فذلك - بلاريب - عقوق للأدب ، وجحود للوطنية ، وكفران بالصدق ، وامتهان للانسانية ، ومجلبة للسقوط والإخفاق .

سيداتى ، سادتى :

ان للتعاون الأدبى بابا ظل موصداً - فى الشرق - أمام الأدباء حقباً طوالا - وليس لهذا الباب إلا مفتاح واحد ، يفك مغاليقه .

ولكن الأدباء - سامحهم الله وغفر لنا ولهم - يأبون إلا أن يتنكبوا طريق هذا المفتاح ، فلا يلقوا فى حياتهم إلا الأشواك السامة تدمى قلوبهم ، وتورد نفوسهم موارد التهلكة والتلف .

ذلك المفتاح الجدير بأن يلقب : مفتاح السعادة ، ومفتاح النجاح ، ومفتاح التعاون الأدبى ، هو : « الانصاف »

* * *

فليرض كل أديب نفسه على أن ينصف غيره ، وليعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به ، فلا يغض من جهود غيره ، ولا يتنقصها ، حتى لا يبادله صاحبه عقوقا بعقوق ، وغدراً بغدر ، وتحقيراً بتحقير « وأول راض سنة من يسيرها » ورحم الله القائل :

« إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل »

وحيا الله من يقول :

« لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نردّ الأذى عنكم وتؤذونا »

وعفا الله عن ابن الرومى حين سن لصاحبه شرعة الانصاف ، ودستور الصداقة ، فقال :

قد حلفنا على الصفاء جميعاً فاجتهدنا ، وذاك جهد المطيق
فبأى الأحكام توجب تصديقك حتما ، ولا ترى تصديقى ؟
وبأى الأحكام قولك برهان ، وقولى من خلبات البروق ؟
ما من الدعويين - إن ضقت - دعوى غير محتاجة إلى تحقيق

ولنا - إن رددت ما تدعيه - رد ما تدعيه ، ضيقاً بضيق.

سيداتى ، سادتى :

لقد صرخ أبو العلاء صرخة اليائس من إصلاح الناس وتعاونهم ، وسخر ممن يتصدون لهديهم - من دعاة الاصلاح ، فقال :

وجبلة الناس الفساد ، فضل من يسمو بحكمته إلى تهـــذيبها

ثم خص الأدباء بلعنته ، فقال :

« وما أدب الاقوام - فى كل أمة - إلى المين ، إلا معشر أدباء »

وحاول أن يتمثل - فى هذه الدنيا - جماعة متآخية متحابة من الأدباء والشعراء ، فأعجزه خياله - على سعته ورحابة آفاقه - ونفر منها طبعه ، فلم يجرؤ على تخيلها فى الدار العاجلة .

فولى وجهه شطر الدار الآخرة ، وفر بخياله إلى فراديس النعيم ، حيث تمثل الصفاء والاخلاص يسودان الأدباء وينسيانهم أحقادهم ، فهم - كما جاء فى الكتاب العزيز - : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل ، إخوانا على سرر متقابلين . لا يمسهم فيها نصب ، وما هم منها بمخرجين . »

***

« فصدر ثعلب قد غسل - من الحقد . على المبرد - فصارا يتصافيان ويتوافيان .

وسيبويه قد رحضت سويداء قلبه من الضغن على الكسائى وأصحابه لما فعلوا به فى مجلس البرامكة ، وأبو عبيدة صافى الطوية للأصمعى .

« والملائكة يدخلون عليهم من كل باب : سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار . »

ولكن المعرى لم يطق أن يحلق فى هذا الجو البهيج ، وعز عليه أن يقنع نفسه بدوام هذا الصفاء بين أدباء الجنة وشعرائها حتى فى الفردوس الأعلى ، فأقام مشاجرة صاخبة بين الجعدى والأعشى ، وخلق بينهما معركة راعبة تقوم لأتفه الأسباب ، كما تقوم المعارك الأدبية لأوهى المناسبات فى عالمنا الأرضى .

فيقول الجعدى :

« أتكلمنى بمثل هذا الكلام ، ياخليع بنى ضبيعة ، وقد مِتَّ كافراً ، وأقررت على نفسك بالفاحشة . . . »

إلى أن يقول :

« أغرك أن عدّك بعض الجهال رابع الشعراء الأربعة - وكذب مفضلك - وإنى لأطول منك نفساً ، وأكثر تصرفاً . . . الخ »

ويرد عليه الأعشى غاضباً :

« أتقول هذا . وإن بيتاً - مما بنيت - ليعدل بمائة من بنائك ... »

إلى أن يقول :

« ولكنك خلقت جبانا ، لاتدلج فى الظلماء الداجية ، ولا تهجر فى الوديقة الصاخدة . . . »

فيقول الجعدى :

« اسكت ياضُلّ بن ضل : فأقسم إن دخولك الجنة من المنكرات ، ولكن الأقضية جرت كما شاء الله . لحقك أن تكون فى الدرْك الأسفل من النار ، ولقد صَلِىَ بها من هو خير منك ، ولو جاز الغلط على رب العزة ، لقلت إنك غلط بك . . . الخ »

ثم تنتهى الملاحاة بأن يثب الجعدى على الأعشى ، فيضربه بكوز من ذهب !

فيقول ابن القارح ، بطل القصة :

« لاعربدة فى الجنان ، إنما يعرف ذلك بين السفلة والحمقى . . الخ »

ثم يصلح بينهما .

* * *

هذه ملاحاة سماوية ، وعراك علوى ، يأبى المعرى إلا أن يتخيله بين الأدباء والشعراء - فى الفردوس الأعلى - يوم تزول الاحقاد ، ويتم الله نعمته على الناس .

فكيف يقول فى السخائم الأرضية الوضيعة ، والأحقاد الدنيوية الخسيسة . حسبه أن يقول :

يتحارب الطبع الذى مزجت به مهج الأنام ، وعقلهم ، فيفله

« * »

سيداتى ، سادتى :

إن الأدب - كالعلم - نور ونار ، ونعمة ونقمة ، وكما أن من العلماء من اثروا خير الانسانية وننعها بما اخترعوه من أفانين العلاج للأمراض الفتاكة المستعصية ، ومنهم من آثروا الإضرار بها ، فوقفوا حياتهم على اختراع المهلكات والغازات السامة وما إليها ، فكذلك الأدباء منهم من وهب حياته للحب وأناشيده ، ومنهم من وهب حياته لإذكاء نار الأحقاد والخصومات ، فليختر كل أديب لنفسه مايحلو : فإما أن يكون من دعاة الخير العام ، وإما أن يكون من أنصار الشر العام .

قال ابن الرومى :

« لولا علاج الناس أخلاقهم لفاح منها الجمأ اللازب »

فليعالج الأدباء أخلاقهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وليروضوا أنفسهم على الإنصاف والتسامح ، لينعموا بحياة راضية هانئة .

***

وأعوذ بالله من قول بلا عمل ، وما أبرىء نفسى ، فأزعم أننى قد أفلحت فى معالجة أخلاقى كلها ، ولكننى أجرؤ فأزعم أننى استطعت أن أروض نفسى على الانصاف والتسامح ، فلم أسمح لها أن تظلم أديبا مهما يمعن فى إسرافى وظلمى ، ومهما تظهر لى مقاتله ويتكشف عواره ، ولم أرد على هاج أو ناقد مرة واحدة فى حياتى كلها ، على توفر أساليب السخرية عندى ، واجتماع أحدث أسلحة الهدم والتخريب والتدمير بحمد الله .

***

أما بعد ، فقد قال الشاعر العربى وأبدع :

يشقى رجال ، ويشقى آخرون بهم ويسعد الله أقواماً بأقوام

فليختر كل أديب لنفسه مايشاء ، وليكن وردة أو شوكا ، مسعدا أو مشقيا ، جنة خير وإيناس ، أو جحيم شر وأذية .

اما أنا فاختار له الأولى ، ولا أرضى له الثانية :

وإن عجزت عن الخيرات تفعلها

فلا يكن دون ترك الشر إعجاز

وصدق الله العظيم : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة ، كأنه ولىّ حميم . »

صاحب العزة الأستاذ الدكتور

« عبد الواحد الوكيل بك »

أستاذ علم الصحة بكلية الطب ، ومفتش صحة القاهرة

٦ — التعاون الصحى

كلمة حضرة صاحب العزة الاستاذ الكبير الدكتور

« عبد الواحد الوكيل بك »

أستاذ علم الصحة بكلية الطب، ومفتش صحة القاهرة

معالى الرئيس ، سيداتى ، سادتى :

لعل شيئاً من الأمور المتصلة بهذا العالم لا يمكن أن يكون أصدق دليل وأوقع مثال على أهمية التعاون مثل صحة الأنسان . فهذا الجسم بالذات قد تحالف فيه المخ والقلب والعضلات والأحشاء تحالفاً أبدياً أزلياً على الوجود ما كتب الله لها الوجود . هذا يفكر ويسيطر ، وذاك يدق وينبض ، وتلك تسعى وتتحرك ، وهذه بعضها يتنفس وبعضها يهضم ، وبعضها يخزن وبعضها يفرز . كل له عمل يحذقه وواجب يؤديه . وبجوار ذلك العين تبصر ، والأذن تسمع ، والأنف تشم ، والغدد الصماء تحفظ التوازن ، وتنظم النمو والتناسل ، ومن فوقها جميعا قدرة الله تبارك التعاون وترعاه .

فحياة الفرد قد شيدت على التعاون ، لا تستطيع الذراع وحدها بدونه من حراك ، ولا العقل من تدبير وإدراك . وكذلك صحة الفرد هى مجمل صحة أعضائه وجهازاته ، إذا سقم عضو كان للسقم فى جميع الأعضاء آثار وصدى .

وبجوار صحة الفرد نرى صحة المجموع . تتميز مملكة البشر عن مملكة الحيوان بالتعاون فى حفظها ودرء الغوائل عنها . فمنذ انتظم الانسان من قديم الزمان فى القرى والكفور ذات الأكواخ، ثم شيد المدائن ذات ناطحات السحاب ، فزاد بعداً عن الطبيعة بهوائها النقى وشمسها الساطعة وطعامها الرضى وسكونها البليغ . ومنذ زاد عدد البشر فزخرت البلدان بسكانها ، واحتقنت المنازل بل الغرف بقطانها . ومنذ تحول الزراع إلى صناع يحشد هم الكشف والاختراع من المصانع فى أضيق رحاب معرضين لأخطار لم يكن لأجدادهم بها علم أو خبر من أنخرة سامة ، وأتربة مؤذية ، وآلات تبتر الأصابع والذراع ، وضوضاء مزعجة .

ومنذ احتاج الانسان فى معاملته إلى المال بدل المقايضه . ومنذ صارت المطالب الكمالية القديمة مطالب أساسية لحياة التمدين الحديث، فزادت الحاجة الى المال ، وزاد الفقر ، وكثرت المسغبة ، واشتد كفاح الحياة .

ومنذ شعر الغنىّ السليم البدن ألاّ سلام له وجاره الفقير معذب بالأمراض والمحن . ومنذ أخضع ذلك العقل البشرى الجبار الفحم والحديد والكهرباء والأثير لطاعته ، وسخرها لخدمته، وقرب بها أطراف العالم حتى كأنما ليس فيه شرق قصى أو غرب دنى، فدنت الممالك بعضها من بعض، تكاد تتبادل أمراضها إذ تتبادل التجارة والبضائع .

منذ ذلك كله ظهرت أكثر فأكثر ، أهمية التعاون فى المحافظة على الصحة الفردية والعامة ، بل الصحة العالمية . كما اتضح لكل ذى عينين أن التعاون هو الأمل الوحيد لحفظ كيان الشعوب والمجتمع الانسانى عامة من الدمار والبوار .

إن التعاون الصحى — أيها السيدات والسادة — يمكن تقسيمه الى ثلاثة أنواع : تعاون يؤديه الفرد ، وتعاون يقوم به الشعب ، وتعاون ينتظم الممالك جميعاً .

أما الفرد فهو واحد من جمع ، اذا صلح صلح الجمع ، وإذا فسد فسد ، وواجباته فى التعاون الصحى هى لعمرى من أهم الواجبات .

أولها : أن يحافظ على صحته فى طعامه وشرابه ، ومسكنه وملبسه ، وعمله وراحته ، ونزهته ورياضته . وأن يسود حياته فى ذلك كله شىء واحد هو النظافة .

ثانيا : أن ينمى فى نفسه حاسة هى مع الأسف مفقودة لدى الكثير ، وهى الشعور بن هذا العالم ألم يخلق له بمفرده ، بل أن هناك آخرين يقضى الادب والتهذيب أن يحرص على عدم إيذائهم . فلا يبصق فى جوارهم أو يعطس فى وجوههم ، أو يلقى قذارته من النافذة على رءوسهم ، أو يترك أطفاله يستعملون الخلاء بجوار أبوابهم وتحت أنظارهم ، أو يصافحهم وراحته قد تلوثت ، أو يدانيهم وهو مريض .

ثالثاً : أن يسارع لطاعة القوانين واللوائح الصحية طاعة إدراك لروحها واعتقاد فى نفعها ، لا طاعة الخشية من العقاب والرهبة من الحساب

كان من البلدان التى عشت فيها ردحا هنيا من الدهر - هو عهد التحصيل فى إحدى الجامعات - مدينة بلغ سكانها زهاء مائة ألف ، وكان مما أثار دهشتى - بادىء ذى بدء - خلو شوارعها من رجال الأمن ، ثم تزايدت الدهشة حين علمت أنه لا يوجد فيها من أطباء الصحة غير واحد ، وهو مع ذلك مكلف بالمعزل الكبير المشيد بجوارها . ثم زالت الدهشتان بعد ذلك حين جست خلالها وعشت فى ديارها بين أهليها ، وعلمت أن كل فرد فى عائلة رجلا كان

أو امرأة أو طفلا قد جعل من نفسه فى محيطه الخاص جنديا للبوليس وطبيباً صحياً يحفظ الأمن والصحة جميعاً ، فهو يشعر أن السلطات الحكومية ماهى غير جزء من وجوده ، وأنها أبعد من أن تكون له خصما أو عدواً تقابله بالكره والمقت أو الغش والخداع .

هذه الأمور الثلاثة - أيها السادة - هى واجب الفرد نحو التعاون الصحى . أما واجب الشعب فلعله أهم من ذلك كثيراً ، فالحكومات لا تستطيع وحدها أن تحفظ صحة الأمم . ذلك أن مجهوداتها محددة مقيدة بمقدار مواردها ، وهذه محددة مقيدة بمقدار الضرائب التى تجبيها . وهذه الضرائب مهما تكبر فهى محددة مقيدة عن أن تفى بكل حاجة البلاد والعباد .

ولعمرى إنه من دلائل التمدين الصحيح فى إحدى الممالك أن يشاهد الإنسان أغنياءه والمتوسطين مقبلين على المساهمة فى الأعمال العامة النافعة كلما دعا الداعى اليها ، وبالعكس من ذلك نرى فى البلاد المتأخرة أن الشكاية من الحكومة تبلغ عنان السماء ، لأن روح التواكل قد سادت بين سكانها .

ففى بلادنا مثلا يطلب من الحكومة أن تهتم بكل نقص وإهمال . فيطلب منها فوق مكافحة الأمراض المعدية ورقابة المصانع والأغذية والأدوية ، أن تكون هى التى تنشىء المستشفيات والملاجىء ، والتى تطعم الفقراء ، وتعين المعوزين المحتاجين .

على حين أن الأمم الراقية قد انتظمت فى سلك من التعاون بديع . ففيها الأغنياء الذين يشيدون دور العلاج بمحض وازع من نفوسهم ، فلا تؤخذ الأموال منهم قسراً وجبراً ، ولا يتحايل على استجداء عطفهم على المصابين

المنكوبين بكلمات الترغيب والتشجيع ، بل يكفى أن يعلن سطر أو سطران فى الصحف حتى تنهال الاعانات والاكتتابات . وحتى لقد صار من المشاهدات المعتادة أن يقرأ الزائر لتلك البلدان على مستشفياتها مثل هذه الكلمات : « هذا المستشفى قائم على الاحسان » أو « نحتاج لمائة ألف جنيه لبناء جناح لأمراض العظام » أو « نحن فى حاجة الى خمسة آلاف جنيه لشراء أجهزة من المذياع للمرضى . » أو « شكراً أيها المحسنون ، فقد وصلت التبرعات إلى المائتى ألف التى طلبناها » وما إلى ذلك .

وفى تلك الأمم من جمعيات الاحسان مالا يعد ولا يحصى . وعمادها عادة السيدات . فهذه جمعية لرعاية العجزة ، وتلك لرعاية العميان أو اليتامى ، وهذه ثالثة ينتظم فيها بنات الأغنياء لزيارة الأحياء الفقيرة وإغاثة سكانها المعدمين ، وأخرى رابعة أسست لمساعدة المسلولين ، وخامسة لإعانة الحوامل الفقيرات ، بل وسواها لرعاية الكلاب والخيل والقطط ، بل للمحافظة على الطيور .

وكل تلك الجمعيات تسعى لهدف واحد هو التعاون الصحى ، وتعتمد على ذلك الشعور المغروس فى قلوب المقتدرين للبذل والعطاء فى ذلك السبيل ، فيندر أن يدعى أحد لحفلة تمثيلية أو ساهرة لخدمة أحد الاغراض العامة ، إلا أسرع إليها غير متعلل بسابق ارتباطه بمواعيد كاذبة أو بسهو أو نسيان . بل يندر أن يموت أحد الأغنياء دون أن يكون قد أوصى بالألوف لمستشفى أو ملجأ أو جمعية إحسان ، يبارك بها ما بقى من تراثه لأبنائه وبناته بل وخدمه وكلابه وخيله أيضاً

وإلى جانب كل هذا نرى الجمعيات والنوادى الرياضية قد اكتظت بها

البلدان والقرى . تعتمد على الاحسان من جهة ، وإعانة البلديات من جهة خرى ، لتقوية الاجسام بمختلف الرياضة البدنية فى الهواء الطلق الفسيح محافظة على الصحة الفردية ، بل الصحة العامة جميعاً

ليس فى شعبنا - أيها السادة - من هذه الروح الجميلة الاشبح موهوم . فهذه جمعية المؤاساة ، وهى للأسف جمعية رجال لا جمعية نساء . ومع ذلك قد قاست الأمرّين حتى استطاعت أن تشيد مستشفاها الكبير الذى سيبقى من دلائل رقى هذا البلد . ولم نسمع أن أحداً غير بعض أفاضل الأجانب قد تبرع بالألوف لهذا العمل الانسانى الجليل ، بل تركت تلك الجمعية تبنيه على فضلات النصيب .

ولا يزال كبارنا - أيها السادة - يترفعون بعد الوزارة عن أن يخلقوا او يتزعموا حركات الاصلاح الاجتماعية ، سواء أكانت صحية أو ثقافية أو أدبية ، بل إن أكثرهم يكتفى بعضوية هذا المصرف أو ذاك فوق عضوية النواب والشيوخ ، على حين أن هذه الجوانب الكثيرة من التعاون الصحى لا يزال الكثير منها مهملا محتاجا لقائد ونصير

أما نساؤنا وأعنى سيداتنا فهن إلا قليلا من فضلياتهن لم يتعلمن بعد كيف يسخرن عواطفهن الرقيقة فى خدمة الانسانية المعذبة .

إن التعاون الصحى الذى يقوم به شعب من الشعوب - أيها السادة - يعتمد فى الحقيقة على عاطفة إنسانية عظيمة هى عاطفة الرأفة ، الرأفة بالمريض والملهوف . وانى لأكاد أتساءل : هل هذه العاطفة موجودة فى قلوب أبناء هذه البلاد ؟

ألست ترى الصبية فى الأزقة والطرقات يتناوبون إيذاء الهررة حتى

لترى الرعب والخوف فى عيونها كلما بدرت منك إليها نظرة ، وحتى لتمعن فى الهرب إذا بدرت منك إليها إشارة . أما أخواتها فى العواصم الأجنبية فتعيش فى نعيم مقيم ويوقف لأجلها المرور فى ملتقى الشوارع والميادين .

ثم انظر ، ألست ترى القوام على المرضى فى بلادنا هم من الرجال ، وكأنهم سجانون لا ممرضون . يجرعون الفقير صابا فوق صاب أمراضه .

هذه العاطفة الإلهية - أيها السادة - هى التى نحن فى أمس الحاجة إليها ، لأن التعاون الصحى الذى يجب أن يقوم به الشعب يعم إسعاف المرضى والضعفاء والفقراء ومواساتهم طبياً ومادياً ، ولم تخلق الحكومات لمثل تلك الأمور ، إلا فى الأمم التى لا تزال بعد غارقة فى بحار التأخر والتقهقر .

وأخيراً - أيها السادة - يبقى التعاون الصحى الذى ينتظم الشعوب والممالك جميعاً ، ولعل هذا وحده دون سواه قد بلغ أوج الكمال من زمان طويل . ولدينا منه مظهران : أولهما مظهر العلم الطبى الذى لا وطن له ولا دين ولا لغة ، يتعاون خدامه فى جوانب المعمورة على تقدمه وزيادته خطوة خطوة لا تضن مملكة على أخرى بخبر أو اكتشاف أو معونة . ومنى كل منهم أن يزيد حرفاً على سطور سواه ، قصداً إلى خدمة الانسانية المعذبة بغير فارق مما وضعه الساسة أو الحاكمون .

أما المظهر الثانى فهو المظهر الدولى الذى يزيد كل يوم توثقاً ومتانة ، مهما تستعر بين الدول نيران الخلافات أو الحروب ، ذلك هو منع انتشار الاوبئة بين مختلف الممالك .

فمن قديم كان الطاعون والكوليرا والجدرى والتيفوس تنتشر بشكل أوباء عالمية تهلك الحرث والنسل ، تحملها القوافل والسفن من الشرق إلى الغرب ، وتجتاز بها حدود الممالك والبلدان .

فما عتم أن اتضح للممالك منذ عهد دولة البندقية وسواها فى القرون الماضية أنه يلزم لوقايتها إدخال نظام الحجر الصحى على الواردين والواردات من الشرق الأقصى الذى كان منبع تلك الأمراض المهلكة .

ومن ثم تسلسلت الاحتياطات الى مؤتمرات دولية عقدت فى البندقية ذاتها سنة ١٨٩٢ ثم فى درسدن وباريس وسواها حتى التأمت الدول المتمدينة جميعاً فى معاهدة صحية دولية واحدة تنفذ الآن على أدق ما يكون من النظام والإتقان . ويخضع لها البواخر والركاب المسافرون والحجاج كما نرى الآن فى الموانى المصرية وسواها .

ولا عجب أن ينال هذا النظام من النجاح القسط الأوفر ، لأنه بنى على التعاون . فيكاد يكون من المحال الآن أن يسعى مرض وبائى فساداً فى الأرض كما كان الحال فى الماضى . بل اختفت الكوليرا والطاعون والجدرى والتيفوس عن ممالك أوروبا وسواها . حتى لا يكاد يعرفها أطباء تلك البلدان مع أن تذليل الانسان للفحم والحديد والبخار والكهرباء كان من شأنه توسيع مجال الفرص لانتشار تلك الأمراض .

ويقوم على تلك المعاهدات الدولية الآن مكتبان : أحدهما فى باريس يسمى المكتب الصحى الدولى ، والآخر فى جنيف وهو القسم الصحى بجمعية الأمم . ولعمرى إن جمعية الأمم لم تنجح فى شىء من أعمالها السياسية أو الاجتماعية بمقدار نجاحها فى أعمالها الصحية الدولية التى تتعاون الدول لا شك جميعاً لإنهاضها ونجاحها .

هذه - أيها السيدات والسادة - صورة موجزة للتعاون الصحى . أنكم ترون معى أنها من أجل أنواع التعاون قيمة وقدراً .

« والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » ، والسلام . ؟

٧ — التعاون الرياضى

كلمة حضرة صاحب العزة الاستاذ الجليل

« احمد فؤاد أنور بك »

المستشار بمحكمة استئناف مصر ، واحد أقطاب الحركة الرياضية

معالى الرئيس ، سيداتى ، سادتى :

طلبت منى رابطة التضامن الأدبى أن ألقى على حضراتكم كلمة عن التعاون الرياضى ، فلبيت الطلب عن طيب خاطر ، معتقداً أنى بذلك أقوم بجزء من واجبى نحو الرياضة التى مارستها وعشقتها منذ صغرى ، والتى عملت ولازلت أعمل على نشرها بين أبناء وطنى المحبوب

الرياضة - ولست فى حاجة لأن أطيل عليكم فى بيان فوائدها - هى فى اعتقادى سبيل السعادة والهناءة فى هذه الحياة ، تقوى الارادة ، وسرعة الخاطر فى الفرد ، وتزيد فى قواه الحيوية ومقدرته على العمل . تخلق الاجسام القوية والأعصاب الهادئة . تعود المرء النظام والطاعة والتسامح . تقوى الخلق وتغرس فى النفس حب التعاون والاخلاص ، تكون الرجل وتصقله وتعوده الحزم والاقدام وعدم اليأس . وبالاختصار هى النواة التى يجب أن تبنى عليها دعائم النهضة فى البلاد

أيها السادة — ليس هناك ما يصور بجلاء النتائج الباهرة التى يؤدى

اليها التعاون أكثر من الرياضة ، لأن النظام الرياضى نظام تعاونى فى جميع أطواره

التعاون الفردى

بدأت الرياضة فردية ، فكان الفرد يمارس نوع الرياضة الذى يميل اليه بقدر ما يسمح له استعداده ومواردة ، ثم فكر فى إقامة المسابقات بين الأفراد فكان الفائز فيها موضع التبجيل والتكريم بين مواطنيه ، فكانت هذه هى الخطوة الأولى فى التعاون ، وكان من أثرها أن ازداد اعتناء الأفراد بأجسامهم وبتدريب أنفسهم ، حتى يدخلوا ميدان التنافس الرياضى ، فينالوا فيه فخر الانتصار

تعاون الجماعات

لوحظ بعد ذلك أن الرياضة الفردية والتنافس باقامة مسابقات بين أفراد لاتجمعهم أى رابطة ، هو نظام غير كامل ، ولا يمكن أن يؤدى الى النتائج المرجوة ، لأنه ينقصه التدريب على أصوله الفنية . وتنقصه الأجهزة اللازمة للألعاب والميادين المنتظمة ، وينقصه المدربون الذين يرشدون اللاعبين إلى أحدث الطرق وأفيدها للتدريب . ولما كان فى غير مقدور الفرد أن يسد هذا النقص بغير أن يتكبد المصاريف الطائلة فكر فى الخطوة الثانية للتعاون وهى إنشاء الأندية الرياضية - أنشئت الأندية وسارت فى نظمها على نظم جمعيات التعاون ، فساهم فيها الرأسماليون بأموالهم ، واللاعبون باشتراكاتهم ومجهوداتهم ، وأخذت الأندية - كل بحسب حالته ومقدرته - تصرف

ما تحصل عليه فى خير اللاعبين وإعدادهم ، فأنشأت ميادين الألعاب المختلفة ، كما أنشأت أحواض السباحة ، وأحضرت المدربين والأجهزة اللازمة ، ونمت الحركة الرياضية وازدهرت ، وأخرجت العقول الرياضية الجبارة

رياضة الفرق

لقد تجلى فى هذا النوع من الرياضة مقدار ما يسديه التعاون المنظم بين الأفراد من نتائج باهرة ، فكونت الفرق من لاعبين اثنين أو أربعة أو خمسة أو ثمانية أو أحد عشر أو خمسة عشر ، كما هو مشاهد فى ألعاب التنس الزوجية ، وفى سباق التتابع ، وكرة السلة ، وشد الحبل ، وكرة القدم ، وكرة الرجبى وغيره ، وظهر بشكل لا يقبل الجدل أن التعاون والتضامن هما أساس النجاح فى هذه الألعاب .

تعاون الأندية

وجدت الأندية نفسها بعد ذلك فى حاجة إلى من ينظم صلة بعضها ببعض ، وترتب مبارياتها وتسن القوانين التى تسرى عليها جميعها ، فتعاونت على خلق الهيئة التى تقوم بهذه المهمة فى كل لعبة من الألعاب ، وخطت الرياضة فى هذا السبيل خطوتها الثالثة ، فتكونت الاتحادات الرياضية ، وما هى إلا هيئات تعاونية لتنظيم حركة الألعاب بين الأندية ونشرها وسن القوانين اللازمة لها ، فاشتركت الأندية فى الاتحادات ، وكان لهذه الخطوة أثرها البعيد فى وضع الثقافة الرياضية على أسس متينة ثابتة ، وارتبطت الأندية

بعضها ببعض وكثر تزاورها رغم بعد الشقة وصعوبة الانتقال فى بعض الأحيان، ونظمت المباريات بينها، وسنت القوانين اللازمة ، فقوى التنافس الرياضى وظهرت بوادر النبوغ ، وأقبلت الجماهير تشاهد هذا النضال ، وتشجع المتنافسين، فنمت الحركة الرياضية فى مختلف النواحى ، وأخذت فى الانتشار

تعاون الاتحادات

تشعبت أفرع الرياضة بعد ذلك وتعددت أنواعها، وكان لتعددها هذا أثره فى كل بلد لتشابه الأغراض، فجاءت الخطوة التعاونية الرابعة ، وتأسست اللجان الأهلية والأولمبية. وماهى - أيها السادة - إلا لجان تعاونية تجمع مندوبى الاتحادات المختلفة فى مكان واحد ليتعاونوا على وضع الأسس والسياسة اللازمة للنهوض بالرياضة ، وتنظيم الصلة بين الاتحادات ، ومساعدتها إذا احتاج الأمر للقيام بمهمتها خير قيام

الاتحادات الدولية واللجنة الأولمبية الدولية

أخيراً خطت الرياضة خطوتها الأخيرة فى سبيل التعاون ، فتأسس اتحاد دولى لكل لعبة كما تأسست اللجنة الأولمبية الدولية ، وانضوت جميع الاتحادات التى تمارس نوعا واحداً فى الرياضة فى مختلف الممالك تحت لواء الاتحاد الدولى ، كما انضوت كل الاتحادات التى تدير ألعاباً أولمبية تحت لواء اللجنة الأولمبية الدولية ، فأخذت هذه اللجان العليا تباشر مهمتها أو تشرف على المباريات الدولية ، بين مختلف الممالك ، وتسن القوانين

الخاصة بمختلف الألعاب فى كل العالم ، وتفصل فى الشكاوى الرياضية التى يمكن أن تنشأ بين مملكة وأخرى ، كما أخذت اللجنة الأولمبية الدولية فى القيام بواجبها بإقامة دورات أولمبية تعقد كل أربع سنوات مرة فى عاصمة إحدى الممالك التى يقع اختيار المؤتمر الدولى الأولمبى عليها ، ولا أظننى فى حاجة لأن أشرح لكم مقدار عناية الممالك والشعوب بنتائج الألعاب الدولية ، ولا أن أذكر لكم مقدار ماتبذله هذه الأمم من الاستعداد للدورات الأولمبية ومايعلقونه من الأهمية على نتائجها ، ولا كيف يكرمون البطل الفائز ويمجدونه ويعتبرونه كالغازى الفاتح ، فان أولمبياد برلين الذى أقيم فى العام الماضى وما سمعتموه عنه وعن عظمته ، لايزال ماثلا فى أذهانكم . كما أظننى فى غنى عن أن أذكر لكم أن هذه المباريات الأولمبية تمثل التعاون الرياضى بين مختلف الأمم بكل معانيه ، وهى خير دعاية للممالك ، ومن أقوى الوسائل التى تشد أواصر الصداقة والمحبة بين الشعوب

هذه هى الخطوات التى خطتها الرياضة ، وتدرجت فيها من الوجهة الادارية ، وهى جميعها كما تشاهدون خطوات تعاونية بأدق مافى هذه الكلمة من معنى ، وإلى هذا النظام التعاونى البديع الذى شمل هيئات الرياضة جميعها يرجع كل الفضل فى ازدهار الرياضة وانتشارها فى جميع أنحاء المعمور ، وفى اعتبارها من أقوى الوسائل لنهضة الشعوب ، ومن حسن حظ مصر - أيها السادة - أنها سايرت الممالك الراقية فى جميع هذه الخطوات ، حتى وصلت إلى إنشاء اللجنة الأهلية وعلى رأسها سعادة محمد طاهر باشا ، واللجنة الأولمبية وعلى رأسها صاحب السمو الأمير محمد عبد المنعم .

هذا ماعن لى أن أذكره باختصار عن التعاون الرياضى بين الهيئات

المشرفة على الرياضة ، وربما كان الكثير منه غير خاف على أغلب حضراتكم ، أما عن التعاون بين اللاعبين فى مختلف الألعاب ، فذلك موضوع ربما يمل سماعه من لم يمارس هذه الألعاب بنفسه ، لذلك لا أرى محلا للخوض فيه . ويكفى أن أقول إن أساس النجاح والفوز فى جميع الألعاب الرياضية هذا التعاون بين الأفراد ، وأن الرياضيين لا يقيمون وزنا لأى لاعب لا يتضامن مع زملائه مهما سمت ألعابه الفردية ، بل يعتبرون وجوده — مهما كان نابغاً — ضاراً بفريقه كل الضرر .

وختاماً أنتهز هذه الفرصة لأشكر خالص الشكر « رابطة التضامن الأدبى » التى هيأت لى هذه الفرصة السعيدة لأتحدث إليكم فى هذا الموضوع الذى هو من أحب الموضوعات إلى نفسى ، كما أشكر حضراتكم جميعاً لتفضلكم بالحضور ، وأسأل الله أن يقوى روح التضامن والتعاون بيننا ، وأن تزدهر الحركة التعاونية فى مختلف النواحى ، حتى نصل ببلادنا المحبوبة إلى ما نرجوه لها جميعاً من عز وسؤدد ، فى ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا المحبوب « **فاروق الأول** » ملك مصر ؟

٨ — التعاون الدينى

من بحث لحضرة صاحب العزة العلامة الجليل
« محمد احمد جاد المولى بك »
المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف

نصوص الشريعة الواردة فى بذل المعونة عامة شاملة لكل واحد من أبناء الأمة ، على اختلاف مذاهبهم وأديانهم ، مادامت مصالحهم مشتركة ، ومراميهم متحدة .

والإسلام بطبيعته يحرص على هذه المصالح والمقاصد ، وهو يأمر بالتحاب والتعاون بين أهل الوطن ، كيلا يؤدى تواكلهم وتباغضهم إلى ضياعها وفسادها ، أو إلى النكد الدائم ، والشقاء الواصب .

أما تخصيص المسلمين أو المؤمنين أحيانا بالذكر فى بعض النصوص ، فلأنهم كانوا المخاطبين بهذه النصوص حين ورودها ، أو لأنهم أرباب الواقعة التى ورد النص بشأنها ، فلا يفهم منه أن غيرهم من أبناء الملل الأخرى غير داخلين فى عموم حكمها المتعلق بالمصالح العامة ، والمنافع المشتركة .

فمثال النص المطلق العام قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

« الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » .

فهل يريد الشارع بالعيال المسلمين وحدهم بعد قوله : «الخلق كلهم» الصريح فى أن مراده كل فرد من بنى آدم ، بل كل فرد منهم ومن العجماوات أيضاً ؟

فالاسلام إذن يحض كل فرد من الخلق على نفع كل فرد من الخلق .

وكذلك قرر أن منزلة المرء من ربه تكون على مقدار مايوصل من النفع والخير إلى البشر . وفى معنى هذا الحديث أحاديث أخرى : منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « خير الناس أنفعهم للناس »

وقوله عليه السلام : «رأس العقل بعد الأيمان بالله التحبب إلى الناس»

* * *

ومثل بعض الحكماء للأخوة الأنسانية ، فقال : أمسى على الماء فى الصحراء فلاح لى من بعد شبح أسود على رأس رابية فذعرت منه ، ولما أقبلت نحوه وجدته إنسانا ، ولما صرت بجانبه وجدته أخى : وهكذا البشر يتعجلون فى بغض بعضهم بعضا ، وهم لو فكروا لعلموا أنهم إخوة يستحقون التحاب بدل التباغض ، والتصافى مكان التحاقد .

ولا دليل فى الشرع الاسلامى ينهى عن معاملة غير المسلمين بغير ماذكر من مكارم الأخلاق بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث السابق :

« الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله »

وبعد قوله : « لاضرر ولاضرار فى الاسلام »

وبعد قوله : « المؤمن آلف مألوف ، ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف »

وبالجملة فالمسلم باعتبار الدين الأسلامى هو من كان مثال الكمال الإنسانى فى حبه لغيره من بنى البشر ، والمسارعة إلى معونته ونفعه .

والاسلام لايسمح للمسلم أن يقف موقف صولة أو خصومة بحال من الأحوال ، مالم تتعرض حقوق بنى الانسان للضياع ، أو يلحق المصالح العامة أو الخاصة غبن أو فساد ، فانه إذ ذاك يسمح بالمقاومة ضمن شرائط العدل والاعتدال .

ولا جرم أنه بقدر ما يكون لتوثيق علائق التحاب بين الناس فى نظر الشارع من الشأن والاعتبار ، يكون للمجترىء على تقطيعها من المقت والاستنكار . والكلمة الجامعة فى الحض على التعاون والتساند هذه الآية الكريمة :

« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »

ومثلها فى الحض على مبادلة عواطف الحب والتوصل إليه من أسهل طرق ، قوله تعالى : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » : فالأفضل أن تقابل صديقك بأحسن مما قابلك به من وسائل الألفة ودواعى التحاب ، فان لم تفعل كان عليك أن تقابله بمثله على الأقل

* * *

على أن عرب الجاهلية لم يكونوا خلوا من روح التعاون ومساعدة غيرهم ، انظر إلى قول حاتم الطائى :

إذا كنت ربا للقلوص فلا تدع رفيقك يمشى خلفها غير راكب
أنخها فأركبه فان حملتكما فذاك وإن كان العقاب فعاقب

أى وإن لم تحملكما معاً وكان اللازم أن تتعاقباها : أى تتناوبا الركوب عليها ، فتركبها أنت مرة وهو مرة — فافعلا .

وأفضل من هذا مارواه البيهقى ، قال : شتم رجل ابن عباس ، فأجابه : « أتشتمنى وفىّ ثلاث خصال :

إنى لأسمع بالحاكم يعدل فى حكمه فأحبه ، ولعلى لا أقاضى إليه أبدا

وإنى لأسمع بالغيث يصيب البلد ، فأفرح به وما لى به سائمة ولا راعية .

وإنى لآتى على آية من كتاب الله ، فأود أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم . »

وقد أخذ أبو العلاء المعرى المعنى الثانى من معانى ابن عباس ، فنظمه شعراً فقال :

ولو أنى حبيت الخلد فرداً لما أحببت بالخلد انفرادا

فلا هطلت على ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا

* * *

وليس من مظاهر التحاب والتعاون بين الأخوان أن يرى المرء صديقه مقيما على الشر والمنكر وفعل السوء ، فيتحبب إليه بالسكوت والإغضاء عنه واستحسان مافعل ؛ فان هذا النوع من المجاملة والتحبب ممقوت فى الشرع منهى عنه فى الكتاب العزيز ، وقد ذم الله تعالى هذا الخلق فى قوله تعالى : « كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون »

وفى الحديث الشريف : « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما »

قيل : كيف أنصره ظالما ؟ قال : « تحجزه وترده عن الظلم ، فان ذلك نصره »

ومن قوله عليه السلام : « من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله فى الدنيا والآخرة » . والمعنى أن من سمع شتما أو علم ظلماً أو اتهاما باطلا ألصق بصديق له وصديقه غائب غير شاعر بالأمر ، فدافع عنه وصان كرامته وحفظ له حقه ـ كان له ماذكر من الثواب .

وقال عليه الصلاة والسلام : « المؤمن أخو المؤمن لا يدع نصيحته على كل حال »

* * *

ومن دلائل اهتمام الشريعة الاسلامية بتوثيق عرا التحاب إباحة المزاح بين الاخوان لامتزاج قلوب بعضهم ببعض ، حتى يكون لهم فى مجالهم شىء من اللهو واللعب المعتدلين بحيث لايخرجون فيهما عن حدود المطايبة والمفاكهة ، فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يمزح ولايقول إلاحقاً .

وذكروا من مزاحه أشياء غاية فى اللطف والصدق وإدخال المسرة على المخاطبين كالأطفال والنساء والعجائز . فمن ذلك قوله لتلك المرأة التى شكت شيئاً من أمر زوجها :

« زوجك الذى فى عينيه بياض ؟ »

وإن فى المزاح على هذه الصورة تفريجا للكروب ، وتسرية عن القلوب ، وفى ذلك يقول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه : إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكم ؟

كلمة الختام

لم يبق إلا أن نشكر لحضرات السيدات والسادة الذين تفضلوا بحضور « يوم التعاون » كما نشكر لحضرات أصحاب السعادة والعزة الأساتذة الأجلاء : رئيس الحفل وخطبائه الذين كان لمحاضراتهم النفيسة أكبر الأثر ، وأعظم التقدير والاعجاب .

ولا ننسى فى هذا المقام فضل الذين تفضلوا — مشكورين — بمساعدة « رابطة التضامن الأدبى » سواء فى تنظيم مؤتمراتها ، وحفلاتها ، أو فى معاونتهم إياها على إظهار مطبوعاتها وكتبها ، ومجالاتهم لها بارشاداتهم وتشجيعهم . ؟

سيد مصطفى
المراقب العام

أول يوليو سنة ١٩٣٧

م . حجازى ٥٠٠٠/١/٧/١٩٣٧

مطبعة حجازى بالقاهرة
تليفون ٥٥٤٨٠

Library of

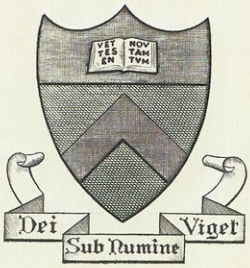

Princeton University.

Princeton University Library
32101 073828889

(NEC)
HD2963
.R335
1937